

## الفصل الثالث

### مع أنبياء الله في دعوتهم

- مع نبي الله نوح عليه السلام في دعوته.
- مع نبي الله هود عليه السلام في دعوته.
- مع نبي الله صالح عليه السلام في دعوته.
- مع نبي الله إبراهيم عليه السلام في دعوته.
- مع نبي الله موسى عليه السلام في دعوته.



## مع نبي الله نوح عليه السلام في دعوته

ولنبداً الخطى مع نوح عليه السلام..

وقد أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام إلى قومه داعياً إليه، فبين - في ثقة وإجمال - ما جاءهم به، وذكر النتائج، وحذر من العواقب.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْصِعُهُمْ فِيءًا وَإِنِّي إِذَا أَهَمُّمْتُ وَاسْتَعَشَوْتُ النَّبِيَّ هُمْ وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٨﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٩﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٢﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٤﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٨﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٩﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

(١) نوح : ١ - ٢٠.

ويمكننا - ونحن نتدبر هذه الآيات - أن ندرك تلك الملامح في دعوة نوح عليه السلام :

## ١- وضوح المنهج واستقامته:

إنَّ منهجَ الأنبياء في الدَّعوةِ إلى الله واستدلالهم عليه يَسِيرٌ في فَهْمه، عميقٌ في دلالته، فَهْمٌ لا يُخاطِبُونَ النَّاسَ بِمُبْهَمٍ يَحْتَاجُ إلى تفسيرٍ، أو غامِضٍ يَخْفَى على كثيرٍ، أو بعيدٍ يصعبُ الوصولُ إليه والوقوفُ عنده، بل يخاطبونهم بما هو قريبٌ من نفوسِهِم، ذو تأثيرٍ في حياتهم، يلتقونَ عليه مع اختلافِ درجاتهم وتباعدِ زمانهم ومكانهم.

وقد رأينا ما استدلَّ به نوح عليه السلام وهو يُنكِرُ على قومه ما هم فيه من كُفْرٍ، وما هم عليه من شِرْكِ.

رأيناه - وهو يدعوهم إلى الإيمان - يستدلُّ لهم بما يُوجِبُهُ من آياتٍ في أنفسهم وفي الآفاق ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٢٠٠﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٢٠١﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٢٠٢﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿٢٠٣﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٢٠٤﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٢٠٥﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿٢٠٦﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠٧﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

فأيُّ أمرٍ من هذه الأمور يصعبُ فَهْمُه، أو تبعدُ دلالته !؟

إنها أمورٌ تتصلُّ بالإنسانِ المخاطبِ بالدَّعوةِ اتِّصَالًا وثيقًا، ولا تنفكُ عنه في ليلٍ ونهارٍ، أو حلٍّ وترحالٍ، أو صحوٍ ونومٍ، أو حياةٍ وموتٍ.

أدلةٌ قائمةٌ أمام أعينِ الناسِ جميعًا، فمنَّ ذا الذي لم يمرَّ بأطوارِ الخلقِ، من: تُرابٍ - أولاً - ثم من نُطفةٍ، إلى علقَةٍ، إلى مُضغَةٍ، إلى عظامٍ، ولحمٍ، إلى خلقٍ آخر !؟

(١) نوح : ١٣ - ٢٠.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يَمُرْ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَهُوَ مُتَكَرِّرٌ فِي الْخَلْقِ؛ لِتَكُونَ الْبَصِيرَةُ وَالذِّكْرَى مَوْصُولَةً بِحَيَاةِ الْخَلْقِ لَا تَنْفَكُ عَنْهُمْ، وَلَا تَبْعُدُ عَنْ وَاقِعِهِمْ !؟

مَنْ ذَا الَّذِي لَا تُظَلُّهُ سَمَاءٌ؟ وَلَا تَحْمِلُهُ أَرْضٌ !؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِشَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ !؟

مَنْ ذَا الَّذِي لَا يَعْرِفُ صَلَاتَهُ بِالْأَرْضِ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْهَا وَيُعَادُ إِلَيْهَا !؟

وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ مِنْهَا ۗ ﴾

﴿ إِخْرَاجًا ﴾ (٢)

مَنْ ذَا الَّذِي لَا يَتَقَلَّبُ عَلَى بَسَاطِهَا !؟ وَيَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا !؟ وَيَأْكُلُ مِنْ رِزْقِ رَبِّهِ فِيهَا !؟

آيَاتٌ يُخَاطَبُ بِهَا الْإِنْسَانُ فَلَا يَرَى عُسْرًا فِي فَهْمِهَا، أَوْ بُعْدًا فِي دَلَالَتِهَا.

إِنَّمَا آيَاتٌ يَأْخُذُ مِنْهَا مَتَاعَهُ، وَيَجِدُ فِيهَا مَعَاشَهُ، وَيُبْصِرُ فِيهَا حَيَاتَهُ وَمَمَاتَهُ.

آيَاتٌ تُتَّصَلُ بِأَحْوَالِهِ كُلِّهَا وَلَا تَنْفَكُ عَنْهُ؛ لِتَكُونَ الْبَصِيرَةُ دَائِمَةً مَعَهُ، فَإِذَا أَخَذَ

مِنْهَا مَا تَأْخُذُهُ الْأَنْعَامُ مِنْ مَتَاعٍ، وَغَفَلَ عَمَّا فِيهَا مِنْ تَبَصُّرَةٍ وَذِكْرَى، فَالْشَّأْنُ شَأْنُهُ،

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

(٢) نوح : ١٨ .

وما رَضِيَهُ لِنَفْسِهِ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١)

وكفاه أن تكون آيات الله - في نفسه ومن حوله - متسقة مع حاجته وتبصرته، ومتاعه وتذكريته، وهو يُدْعَى إلى عبادة ربه، ويحذر من كفران نعمه وجحود فضله.

﴿ حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (٢)

آياتُ يُخاطَبُ بها الإنسان، وفيها منفعته وحاجته، وفيها تبصرته وتذكرته؛ لتكون عوناً له - في كل وقت - على المعرفة والهداية إلى الحق.

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٧﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٨﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١١﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ﴿١٢﴾

(١) محمد : من الآية ١٢ .

(٢) الجاثية : ١ - ٦ .

وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾

وَمَنْ أَبِي البصيرة والذكري، وأخذ من آيات الله ما تأخذه الأنعام من متاع، فقد رَضِيَ لنفسه أن يكون كالأنعام، بل أضل ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٢)

## ٢- أثر المنهج في حياة الناس:

إن هذه الكلمات الثلاث: ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾، ﴿ وَاتَّقُوهُ ﴾، ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ تبيِّن ما أُرْسِلَ من أجله نوحٌ عليه السلام، بل ما أُرْسِلَ من أجله رُسُلُ الله جميعاً. وهي كلمات جامعة لخصال الخير كلها، ولها تأثيرٌ بالغٌ في سلوك الفرد وروابط المجتمع، ولها نتائجها في دُنْيَا الناس وآخرتهم؛ فإن عبادة الله وتقواه إعلاءٌ لقيمة الإنسان، وطهارةٌ له من الذلِّ والنَّفَاقِ والكِبْرِ، وأتباع الأهواء والشهوات. وإنسانُ الأَمَنِ والسَّلَامِ هو ذاك الذي يعبدُ ربَّهُ، فَيَكْفُ عن الناس شرَّهُ، وَيُقَدِّمُ خَيْرَهُ.. وَمَنْ لم يَفِ الله - الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدى - لن يكونَ قِيًّا للناسِ، وَمَنْ لم يكن له من تقوى الله وازعَجَ يَكْفُهُ عن الدنيا - في السِّرِّ والعلَن - لن تُرَدِّعهُ وسائلُ البشر مهما عَظُمَتْ؛ فإن الجريمة المَبِيَّتَةَ في نفس صاحبها تعجزُ قوى البشر أن تُحيطَ بها، أو تُحاسبَ عليها، ولكن عبادة الله وتقواه قادرةٌ على أن تُسَدَّ

(١) ق: ٦ - ١١.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

الجريمة المبيّنة قبل أن تُؤلّد، بل هي قادرةٌ على أن تُزيلها وهي وساوس قبل أن تُصبح هماً أو عزماً.

ويأ لها من تكاليف باهظة تدفعها الإنسانية حين تنشُد الأمنَ بعيداً عن الإيمان، أو تطلب السُّلمَ في غير صفات الإنسان !!

إن هذا الكَمُّ المائل من السلاح، والتنافس المسعور عليه - دفعاُ لشر الإنسان - ليس وحده الذي يُحقِّق للناس السلامَ والأمنَ، فما أيسر الغدر على نفوسٍ تجرّدت من خشية الله وتقواه.

إن خضوعَ الإنسان وإسلامَ وجهه لله يُحقق الأمنَ في حياة الناس بلا تكاليف.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وَالَّذِينَ هُمْ بِقَائِمَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهَا سَابِقُونَ ﴿٤١﴾<sup>(٣)</sup>

إن طريق الأنبياء هو الطريقُ المنقذُ من التَّيهِ والضلال، لا يضلُّ من اتَّبعه، ولا

يشقى من اهتدى بهُداه ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الأنعام : ٨٢ .

(٢) المؤمنون : ٥٧ - ٦١ .

(٣) طه : ١٢٣ .

### ٣ - الإخلاص في النصيح:

لقد وقفنا - من قبل - على ما دعا إليه نوح عليه السلام وقومه وأنذر به ﴿ قَالَ

يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٢﴾ ﴿١﴾

لقد بلغ نوح عليه السلام ما أمر به، وطال مكثه في قومه، واشتد تحذيره لهم ﴿ وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴿٣﴾ ﴿٢﴾

لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ودعاهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وبين لهم النتائج والعواقب.. فما أفادهم إنذار، ولا ردهم تحذير، بل أصروا على

كفرهم، واستكبروا استكباراً ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ

يَزِدَّهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِقَهُمْ

فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ

جَهَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٨﴾ ﴿٣﴾

ومع وضوح المنهج واستقامته ترى القوم - في كفرهم وكبرهم - يسلكون كل

سبيلٍ للثبيل من نبيهم!

ومع المبالغة في الإساءة لا ترى من الداعي إلى الله إلا النصيح لهم، والإحسان

إليهم، والحرص على هدايتهم وإنقاذهم.

(١) نوح : ٢، ٣.

(٢) العنكبوت : من الآية ١٤.

(٣) نوح : ٥ - ٩.

وذاك هو شأن الدعوة المخلصين، الذين يشدون رضا الله، ويُخلصون القصد له.

﴿ قَالَ آتَمَلَأُ مِنْ قَوْمِيءَ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ  
بِي ضَلَالَةٌ وَلَيْكِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ  
لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ  
عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

عجبا! الداء الذي فيهم يرمون به نبيهم ﴿ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾، والرسول  
الكريم يُجيبهم بهذا القول الراشد الحكيم ﴿ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَيْكِي رَسُولٌ  
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

والقومُ تردادُ إساءتهم، ويخاطب بعضهم بعضاً؛ تشهيراً به وسحرةً منه ﴿ إِن  
هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرِّضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، والرسولُ الكَرِيمُ يلجأ  
إلى رَبِّهِ مُعْرِضاً عن إساءتهم قائلاً: ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾<sup>(٣)</sup>

وهكذا ترى في أسلوب الأنبياء عفةً، وإمساكاً عن مجارة السفهاء، ولا تسمع  
منهم إلا الكلمة الصائبة، والحجة البالغة.

وتبلغ السفاحة بقومه أن يطلبوا منه أن يأتيهم بالعذاب؛ مبالغةً في الإنكار  
والجحود، ونوحٌ ~~الكثير~~ لا يُبارحُ الحالين: حال الجدال بالحق وبالتالي هي أحسن، وحال  
اللجوء إلى الله كلما اشتدَّ إعراضهم، وازدادت سفاهتهم.

(١) الأعراف: ٦٠ - ٦٣.

(٢) المؤمنون: ٢٥.

(٣) المؤمنون: من الآية ٢٦.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان، أن يُحسنوا صلتهم بالله، وأن يُحسنوا الصُحَّ للناس.

\* \* \*

وفي سورة أخرى من كتاب الله تعالى نقرأ هذه الآيات عن دعوة نوح عليه السلام، وهو يدفع إساءتهم بالتي هي أحسن، ويُقيم الحجة عليهم، وينصح لهم، وهم يتماوتون في إساءتهم، ويبالغون في استهزائهم وسخريتهم.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٦٢﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ يَنْقُومِ آرَاءُيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمُكُمْ مَوْهَا وَأَنْشَرَهَا كَبِرْهُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَنْقُومِ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۗ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ ۗ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجَاهَلُونَ ﴿٦٥﴾ وَيَنْقُومِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا يَنْسُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ (١)

أخي المسلم: تدبر هذه الآيات؛ فإنك واجد فيها عبرة وموعظة وذكرى، ومنها تُدرك منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وهم يهدون إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

إنك واجد فيها، من جانب النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه: الحجة والبرهان.

والعدل في القول.

والإنصاف في الحكم.

والإخلاص في التصح.

وترى نقيض ذلك كله في سلوك الملأ من قومه، وقد غاب عنهم أن الحق الذي يدعوهم إليه له نورٌ و نار، فمن أبيض النور فالنار موعده.

إن الحق الذي يدعوهم رسولهم إلى أتباعه بين لا علة فيه، وإنما العلة في النفوس، والنفوس إذا مالت عن الحق، واتبعت هواها ضلت عن سواء السبيل.

يقولون - فيما يقولونه لنبئهم -: ﴿ مَا تَرَلَّاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ وهو قول

يقوله الأولون، ويُردده الآخرون، وهو يُنبئ عن جهلٍ وفقدان عقل.

وأى غرابة في أن يكون الرسولُ بشراً؟!؟

وهل في مصلحتهم أن يكون الرسولُ ملكاً؟!؟

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ ﴾ (١)

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٢) قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ﴿٣﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٤﴾ (٣)

إن النفوس حين تأتي الحق تُجادلُ بالباطل، والباطلُ عارٍ من الحجة، لا برهان له.

يقولون: ﴿ وَمَا تَرْفَعُ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ ﴾

وهو قولٌ يقوله الأولون، ويردده الآخرون، كأنهم قد تواصوا فيما بينهم على ما

يقولون ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٤)

وهو قولٌ يُسئى عن كبرٍ وطغيان.

أَيضِرُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ أَنْ ضُعْفَاءَ النَّاسِ وَفُقَرَاءَهُمْ قَدْ اتَّبَعُوهُ ۗ

وهم يزعمون أن أتباعهم للحق لم يكن عن ترؤٍ ولا فكرٍ ولا نظيرٍ ﴿ وَمَا

تَرْفَعُ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ ﴾

وما درى هؤلاء أن الشرف - كل الشرف - في اتباع الحق، لا في المال

والمناجى.. وأن الأراذل هم الذين يتبعون الباطل، ولو كان لهم ملء الأرض ذهباً.

(١) الأنعام : ٩ .

(٢) الإسراء : ٩٤ - ٩٦ .

(٣) الذاريات : ٥٣ .

ما دَرَوْا أن أتباعَ الرسل هم الضعفاء، كما قال "هرقل" عندما سأل أبا سفيان عن صفات النبي ﷺ قائلاً له: « فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ ؟ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ » قال أبو سفيان: « بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ »، عندها قال "هرقل": « هم أَتْبَاعُ الرُّسُلِ »<sup>(١)</sup>

وليس بِمَدْمَةٍ ولا عيبٍ أن يُؤْمِنَ مَنْ يُؤْمِنُ - عند وضوح الحقِّ وظهوره - دون تأخيرٍ أو انتظارٍ، بل من الواجب أن يكون.

ومن الواضح أنهم يطلبون من نبيهم أن يطرد الضعفاء من مجلسه، وهم يجهلون أن هذا الكبر في نفوسهم هو الصارف لهم عن الهدى واتباع سبيل الرشد - لا الفقراء ولا الضعفاء - فليطردوه من نفوسهم، وعندئذ لا يجدون في صدورهم بعضاً للحق وأهله، بل يُحبونهم ويُؤثرونهم على أنفسهم؛ وفاءً للحق، واستجابةً لهدية.

فإن أهلَ الكبرِ يُعَاقِبُونَ من الله بِصِرْفِهِم عن آياته ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وما طلبه الملائكة من قوم نوحٍ قد طلبه الملائكة من قريش.. طلبوا من نبيهم ﷺ أن يطرد الضعفاء من مجلسه؛ لأن الرؤساء والكبراء تأبى عليهم مكائهم أن يجلسوا مع هؤلاء.

ويأتيه الوحي من السماء :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا

(١) رواد البحاري.

(٢) الأعراف : ١٤٦.

عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۗ ﴾ (٢)

والرسل الكرام أهل تواضع، وبر، وعدل، ورحمة.. ولذا أجاب نوح قومه

﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْتَلْقُوا عَلَيْهِ مَا لَآءِ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا بِهِمْ وَلِنَبِيٍّ أَنزَلْنَا قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴿٣﴾ وَيَقَوْمٍ مِّن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُهُمْ ءَأَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٣)

ثم يقول: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ؕ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (٤)  
نهج كرم يعلمه الناس من المرسلين.

#### ٤ - إن العاقبة للمتقين:

إن الأنبياء منصورون ولو لم يتبعهم أحد.. والأمور بعواقبها، والمقدمات

(١) الأنعام : ٥٢ .

(٢) الكهف : ٢٨ .

(٣) هود : ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) هود : من الآية ٣١ .

بنتائجها ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ

﴿١٧٤﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَلِيُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴿<sup>(١)</sup>

نعم قد يُستدرجُ الباطلُ، ويملى له، فيفتنُ به الذين يُريدون الحياةَ الدنيا، فإذا جاء الحقُّ قضِيَ الأمرُ، وزهقَ الباطلُ، وخسرَ هنالك المُبطلون.

وفي العاقبة ترى السنينَ الطوالَ قد تضاءلت في حسِّ الإنسان، فلم تُعدَّ سوى دقائق وثوان.

لقد لبثَ نوحُ عليه السلام في قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً وما آمنَ معه إلا قليلٌ، ولما جاءت العاقبة أخذهم الطوفانُ، ولم يجد الظالمونَ ما يعصمهم منه؛ إذ لا نجاةَ لمن اعتصمَ بغيرِ الله ولو آوى إلى قممِ الجبال، ولو كان ابنَ نبيٍّ ورسولٍ..

وهذه العاقبة - وهي آيةٌ من آياتِ الله - تُذكِّرنا بما تصيرُ الأمورُ إليه، وتُبصِّرنا بما يجبُ أن نكونَ عليه.

ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً يُقيمها نوحُ عليه السلام في قومه، يدعوهم إلى اتباعِ الحقِّ، في ليلٍ ونهارٍ، وهم يسخرونَ ويستهزئونَ، غافلينَ عما يُساقونَ له ويُستدرجونَ إليه.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿١٧٦﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٧٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَوْا بَيَاتِهِمْ ﴿١٧٨﴾ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٧٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٨٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٨١﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>

(١) الصافات : ١٧١ - ١٧٣.

(٢) نوح : ٥٠ - ١٠.

وهي السُّنُونُ تمضي، والسَّاعَةُ الفاصلة تأتي، والقَوْمُ في ذِرْوَةِ نَشْوَتِهِمْ بما يُسْتَدْرَجُونَ به، في غمرتهم ساهون عما يصيرون إليه، يأتي أمرُ الله؛ إغاثةً لنداء، واستجابةً لنداء، فكان نَصْرًا للكلمة الحقِّ، وإغراقًا لكلِّ مَنْ كَفَرَ بها أو جحدَها، وعبرةً للزَّمنِ كُلِّه، تُذَكِّرُ المؤمنينَ وتُنذِرُ المكذِبينَ.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿١٠﴾  
فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١١﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١٢﴾  
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قَدِيرٍ ﴿١٣﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ  
الْأَوْحِ وَدُسْرٍ ﴿١٤﴾ فَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً  
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ  
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٨﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

تلك هي العاقبة.. آية من الله يتذكر بها من يتذكر، ويعتبر بها من يعتبر.

وكم من ناسٍ تُلهيهم العاجلة، وتشغلهم عن الآخرة!

كم من ناسٍ تقع الأحداثُ أمامَ أنظارهم فيتلقونها ببلادةٍ حسٍ وعطائَةٍ فكري،  
وتُتلى عليهم الآياتُ وهم غافلون عن دلالتها، لأهونَ عن عبرتها!!

إن المقدمات لا بُدَّ أن تصيرَ إلى نتائجها، والأمور لا بُدَّ أن تنتهي إلى عاقبتها،  
ومن أدرك العواقبَ أتقنَ أن الحقَّ لا يُهزمُ أبدًا، وأن ما يراه من زهوِ الباطلِ زبدٌ  
يذهبُ جفاءً، ولا يمكثُ إلا ما ينفعُ الناسَ ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا  
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) القمر : ٩ - ١٧.

(٢) الرعد : من الآية ١٧.

ألف سنة إلا خمسين عاماً لبثها نوحٌ الطيّب في قومه، ولما جاء الطوفانُ - بعد  
إعذارٍ وإنذارٍ - ترى كُلُّ شيءٍ من أمرِ المبطلين الظالمين قد انتهى كأن لم يكن إلا  
ساعةً من هَارٍ.

وأنت تتدبرُ القرآنَ ترى تلاحقَ الأحداثَ كأنما كانت الدَّعْوَةُ في الصباح،  
والطوفانُ في المساء! مع أن نوحاً الطيّباً قد لبثَ في قومه السنينَ الطوالَ! ﴿وَلَقَدْ  
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ  
الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٠٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً  
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾<sup>(١)</sup>

إنَّ حديثَ القرآنِ عن منهج الأنبياءِ فيه بيانٌ لسُنَنِ اللهِ في خلقه، ولمن تكونُ  
العاقبةُ، وهو حديثٌ مُوجَّهٌ إلى الناسِ جميعاً ﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى  
مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>

### ٥- طبيعة الجزاء في منهج الأنبياء:

إنَّ الرُّسُلَ والأنبياءَ دُعَاةُ إِصْلَاحٍ.. والإصْلَاحُ سَبِيلُهُ الحَقُّ والعدْلُ..

والحقُّ من ربِّك، وهو الذي يهدي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم، والحقُّ لا يُتَّبَعُ  
هوى الناسِ، بل يُتَّبَعُ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الحَقُّ أهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ  
وَمَن فِيهِنَّ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) العنكبوت : ١٤ ، ١٥ .

(٢) الأنفال : ٤٢ .

(٣) المؤمنون : من الآية ٧١ .

والعدلُ لا يُدُّ له من ميزانٍ يحتكمُ الناسُ إليه، ويزنونُ أمورهم به.

ومن رحمةِ الله بالخلق أن أرسلَ رُسُلَهُ بالبينات، وأنزل معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ

الناسُ بالقسط... وذلك هو السبيل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾<sup>(١)</sup>

والله تعالى هو الذي يُجازي العبادَ على أعمالهم، وموقفهم من منهج الرسل

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ

الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾<sup>(٢)</sup>

ولا عُذْرَ بعد بيان، ولا حُجَّةَ بعد تبليغٍ وإنذار ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ

جَهَنَّمَ ۚ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>

ولا ظُلْمَ في جزاء، ولا محاباةَ في حساب ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ

الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

لقد رأينا ما كان من ابنِ نوحٍ عليه السلام وما جرى معه، فقد يكونُ ممن أظهرَ لوالده

(١) الأحزاب : من الآية ٤ .

(٢) النجم : ٣١ .

(٣) النساء : ١١٥ .

(٤) النساء : ١٢٣ ، ١٢٤ .

إيماناً، وأبطنَ كفره، فحُوزِيَ مع الكافرين، وكان من المعرَّقين.

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَعَهُ مَعِينًا مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَعْطَاكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

لا مُجَامَلَةٌ ولا مُحَابَاةٌ.. بل كُلُّ إنسانٍ مأخوذٌ بذنبيه، مُحاطٌ بخطيئته، وليس بين الله وبين أحدٍ نَسَبٌ إلا طاعته.

والجزءُ في منهج الأنبياء - على هذا النحو - يُحَقِّقُ نَمَطًا من السلوك لا يُحَقِّقُهُ غَيْرُهُ، ويجعل المؤمنَ به متميزاً في السِّرِّ والعلَن، فلا يُبَدِي وفاءً ويُخْفِي غَدراً، أو يُظْهِرُ إيماناً ويُبْطِنُ كُفْراً، بل يَصْدُقُ مع نفسه، ومع الناس - في جميع الأحوال - لأنه يَصْدُقُ مع الله الذي يُوقِنُ بالرجوع إليه، والحسابِ بين يديه، وهو يعلمُ أن الخَلْقَ خَلَقَهُ، والهدايةَ منه وحده، والإيابَ إليه لا إلى غيرِهِ، والرسُلَ يُبَلِّغُونَ وعلى الله الحساب.

﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

إنَّ هذا التميُّزَ في منهج الأنبياء في الدَّعْوَةَ إلى الله، واتِّصالَ العملِ في الدنيا بالجزءِ في الآخرة، هو - وحده - سبيلُ الإصلاحِ في الدنيا، والبُعدِ عن الإفسادِ فيها، وهو الذي يَنْفِي العِبْثَ والباطلَ في تصوُّرِ الناسِ وأعمالِهِم، وما كان الخَلْقُ عبثاً ولا باطلاً.

(١) هود : ٤٥ - ٤٧ .

(٢) هود : ٣٤ .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى  
اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ <sup>(١)</sup>

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۖ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ﴿١١٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ﴿١١٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ  
مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ ۖ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١٩﴾ <sup>(٢)</sup>

أخي المسلم: وعندما تقرأ في كتاب ربك ما جرى من قوم نوح عليه السلام، وما  
وقع عليهم من حسابٍ وجزاءٍ ﴿ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا  
هُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ ﴿١٢٠﴾ عليك أن تتدبر أمرك، وأن تُدرك ما تؤدي إليه  
الخطايا والذنوب.. عندئذ توفن أن الاستقامة هي سبيل النجاة، وأن الإيمان بمنهج  
الأنبياء واتباعه هو خير دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا.. هو للبرِّ فيما بيننا، وإقامة العدل في حياتنا؛  
رحمة من الله بعباده، والله تعالى غني عن العالمين.

\* \* \*

(١) المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) ص : ٢٧ - ٢٩ .

(٣) نوح : ٢٥ .

## مع نبيِّ الله هودٍ عليه السلام في دعوته

أخي المسلم:

لا زلتُ معك في حديثِ القرآنِ الكريمِ عن أنبياءِ الله تعالى، وهو حديثٌ يُتلى عليك لتعرفَ سُنَنَ الله في خلقه، وتُدركِ العواقبَ، فتحذرِ ما يُرَدِّي إلى الحُسرانِ وسُوءِ العاقبةِ.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وقد التقيتُ معك في حديثٍ سابقٍ على مآذبةِ القرآنِ الكريمِ وهو يُقَصُّ علينا ما جرى من قومِ نوحٍ عليه السلام، ويُذَكِّرنا بالعواقبِ وما تُؤدِّي إليه الذنوبُ والمعاصي، فتدبِّرِ هذه الآياتِ، وخُذِ العبرةَ لِنفْسِكَ، ولا تكن من الغافلين.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

إِنَّ مَنْ يَتَدَبَّرُ الْعَوَاقِبَ يُوقِنُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُهْزَمُ أَبَدًا، فَيَسْتَمْسِكُ بِهِ، وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ. وَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، وَقَدْ تَكَمَّلَ بِحِفْظِهِ وَنُصْرَةِ أَهْلِهِ.

(١) يوسف : من الآية ١١١.

(٢) آل عمران : ١٣٧ - ١٣٩.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿١٠٠﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١٠١﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

ولِدَعَاةِ الْحَقِّ مَنْطِقٌ رَشِيدٌ وَأَدَبٌ فَرِيدٌ، وَلِلظَّالِمِينَ سُوءٌ قَصْدٌ وَإِفْسَادٌ وَجُحُودٌ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ (بَاطِلٌ) لَا يَبْلُثُ أَنْ يَزُولَ، وَمَا هُمْ فِيهِ (زَبَدٌ) يَذْهَبُ جُفَاءً، وَمَعَ مَجِيءِ الْحَقِّ لَا نَرَى الْبَاطِلَ يُبَدِّئُ وَلَا يُعِيدُ.. ذَلِكَ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ، وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تَبْدُلُ وَلَا تَحْوَلُ ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَنُمِ الْغُيُوبِ ﴿١٠٢﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

ومع نبي الله هود عليه السلام؛ لِمَرَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ، وَمَا دَعَا إِلَيْهِ، وَنَرَى النَّتَائِجَ وَالْعَوَاقِبَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَمَنْ صَدَّ عَنْهُ.

دعوة هود عليه السلام في سورة الأعراف :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ؕ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠٤﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلِيَكُنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٠٦﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ؕ

(١) غافر : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) سبأ : ٤٨ ، ٤٩ .

وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۗ فَأذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ ۗ أُتْجِدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٦٨﴾ فَأُنْجِيَنَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِفَاتِنَتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ (١)

يا الله ! ما الذي دعا إليه هودٌ الظَّالِمِ حتى يُعَادَى !؟

دعا قومه إلى ما يُقدِّمهم، فرموه بالسفاهة والكذب ﴿ قَالَ يَنْقَوْمِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٧﴾

لكن أخلاق النبوة - التي ربي عليها - تأتي عليه بحجارة السفهاء، ولذا لم يرد سينتهم بمثلها، بل جادلهم بالتي هي أحسن ﴿ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٦٨﴾

هكذا - في كلمات نيرة، واثقة، راشدة - دعاهم إلى الحق، معرضاً عن إساءتهم وجهالتهم.

كلمات فيها ما فيها من أدب النبوة وصدقها، وإخلاصها في التصح والتبليغ..

والملا من قومه كلما زاد في نصحهم وإرشادهم، ازدادوا في جهالتهم وعُتُوهم وجحودهم!

يُذَكِّرُهُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِعَاقِبَةِ عِصْيَانِهِمْ، فَيَتَعَجَّلُونَ الْعَذَابَ الَّذِي حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، وَأَنْذَرَهُمْ بِوُقُوعِهِ ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۗ وَأَذْكُرُوا ۚ إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا ۗ الْآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (١)

إنَّ مَنْ جَاءَهُم بِالذِّكْرِ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَا يَجْهَلُونَهُ، وَلَا يُنْكِرُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَقَدْ جَاءَهُم بِالذِّكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ، وَلِلرَّبِّ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ، أَيْ فَضْلٌ، وَهُمْ لَا يُنْكِرُونَ مَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ فِي خَلْقِ أَوْ رِزْقٍ، فَلَا مَوْضِعَ لِعُجْبٍ، وَلَا عُذْرَ فِي إِعْرَاضٍ، بَلِ الْعُجْبُ - كُـلُّ الْعُجْبِ - أَنْ يُعْرِضُوا وَقَدْ جَاءَهُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ! وَأَنْ يَسْتَخْلِفَهُمُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ - وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا جَرَى لَهُمْ، وَمَا وَقَعَ بِهِمْ حِينَ أَصْرُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِ نَبِيِّهِمْ - فَلَا يَعْتَبِرُونَ.

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا

تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٩﴾﴾

\* \* \*

دعوة هود عليه السلام في سورة هود :

لقد أوردنا - من قبل - ما جاء في سورة (الأعراف) في قصة هود عليه السلام، ورأيتَ معي ما كان منه، وما جرى فيهم.. وما كان منه جديرٌ أن يُقتدى به، وما

(١) الأعراف : ٦٩.

جرى من قومه وما وقع بهم يُحذَرُ وَيُحْتَنَبُ، وفي قَصصهم عبرة، وفيه للمؤمنين هدى ورحمة ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

ومع هود عليه السلام في سورة (هود):

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ يَنْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وَيَنْقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا حُرْمِ اللَّهِ ﴿ قَالَوَا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِئِهْتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَجْنَاكَ بِعَصْرِ آلِئِهْتِنَا سُوءٌ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِمُ إِلَيْكُمْ وَنَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لِحِثْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْيَتِهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِبَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ءَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ءَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (١)

(١) هود : ١٢٠ .

(٢) هود : ٥٠ - ٦٠ .



أخي المسلم: إن القرآن المجيد - وهو يُبصِّرنا بمنهج الأنبياء في الدَّعْوَة إلى الله - يُرينا سُنَنَ الله في خَلْقِهِ، وَيَهْدِينَا لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَسُنَنُ الله لَا تَحْوُلُ وَلَا تَبْدَلُ.

ومن قبل رأينا ما جرى لقومٍ هودٍ، وما وقع عليهم حين جحدوا بآياتِ الله وَعَصَوْا رُسُلَهُ.. أَخَذُوا بِذَنُوبِهِمْ، وَهَلَكُوا بِعِصْيَانِهِمْ، وَخُوطِبَ مَنْ بَعْدَهُمْ بِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ، وَمَا جَرَى لَهُمْ؛ إِعْدَارًا وَإِنْدَارًا ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٠٢﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ خَلْجٍ مُنْقَعِرٍ ﴿١٠٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٠٥﴾﴾<sup>(١)</sup>

تذكيرٌ بما وقع، يُنلَى على الناس، وَيُبَيَّنُّ لَهُمْ، وَلَا حُجَّةَ بَعْدَ بَيَانٍ، وَلَا عُذْرَ لِمَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى.

ومن الناس مَنْ تَنَفَعَهُ الذِّكْرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا تُوقِظُهُ إِلَّا سَكْرَةُ الْمَوْتِ.

وسَيُظَلُّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُذَكِّرُ وَيُبَصِّرُ، وَيُنذِرُ وَيُشِيرُ.. فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ فَازَ وَبِنِجَاهٍ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَلَكَ ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِأَلْحَقَابٍ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلْعَلُّمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَيْكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١٠٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ تَدْمِيرُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ

(١) القمر : ١٨ - ٢٢.

الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا  
وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا  
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾

ذاك حديث القرآن عمّن جحدوا بآيات ربهم، وعصوا رسله، واتبعوا أمر كل

جبار عنيد.

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿١١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا  
جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢)

﴿ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا  
بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣)

إنّ منهج الأنبياء له حمأة، والويل - كلّ الويل - لمن جحدّه أو عاداه.

﴿ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبَةٍ عَمَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَهَا  
عَذَابًا نُكْرًا ﴿٦٠﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٦١﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا  
شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٦٢﴾ رَسُولًا يَتْلُوا  
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (٤)

(١) الأحقاف : ٢١ - ٢٦ .

(٢) النّاريات : ٤١ ، ٤٢ .

(٣) هود : ٦٠ .

(٤) الطلاق : ٨ - ١١ .

## مع نبيِّ الله صالحٍ عليه السلام في دعوته

رأينا - من قبل - ما كان من قوم هودٍ عليهم السلام حين دعاهم إلى عبادةِ الله وحده لا شريك له، وكيف أنكروا ما جاءهم به وما دعاهم إليه.

لقد بلغ بهم الحُجُودُ والتُّكْرانُ أنْ طلبوا منه أنْ يُعَجِّلَ لهم العذاب ﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>، وتحقَّق الوعيد، وقُطِعَ دابرُ الذين كذَّبوا بآياتِ الله.

واستخلفَ اللهُ من بعدهم قومَ صالحٍ، استخلفهم والعِبْرَةُ قائمةٌ أمامَ أنظارِهِم، وأرسلَ فيهم رسولاً منهم يُذكِّرهم بنعمةِ ربِّهم، ويدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له، فماذا كان موقفهم من الدعوة؟ وكيف واجهوها؟  
ذاك هو حديثُ القرآن الكريم عن دعوة صالحٍ عليه السلام.

### صالح يدعو قومه إلى عبادة الله :

دعا صالحٌ عليه السلام قومه إلى ما دعى إليه الرُّسُلُ من قبل.. دعاهم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون سواه، وذكَّرهم باستخلاف الله لهم في الأرض من بعد (عاد) قوم هود، وأرشدهم إلى الاستغفار والتوبة إلى الله القريب المحيب.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

(١) الأعراف : من الآية ٧٠.

غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۗ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴿١﴾

إنَّ صالحًا عليه السلام لم يكن غريباً عليهم، يجهلون نَسَبَهُ وسيرته، بل هو منهم، يعرفون رَجَاحَةَ عقله، وشَرَفَ نفسه، وسُمُوَّ خُلُقِهِ، وما دعاهم إلى شيء يُحَدُّ أو يُنكِرُ! ومع هذا كذَّبوا به كما كذَّب الذين من قبلهم، ولم يعتبروا بما جرى لهم، وما وقع بهم.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٦٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٦٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ﴿٢﴾

كما سَخَر به الملائ من قومه، وزعموا أنه بعيد عن الصدق، لم يأتهم بالحق.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنِّي صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّي ۗ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَافِرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ﴿٣﴾

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٦٩﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ ۗ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ﴿٤﴾

(١) هود : ٦١ .

(٢) الشعراء : ١٤١ - ١٤٥ .

(٣) الأعراف : ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) الشعراء : ١٥٣ ، ١٥٤ .

لقد أبى المستكبرون دعوة الحق، وكذبوا صالحاً، ونالوا منه وهم يعلمون صدق ما دعاهم إليه وما أمرهم به، وقُبِحَ ما نهاهم عنه وحذَّره منهُ، ومع هذا تراهم يقولون لنبيهم: ﴿يَنْصَلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (١)

يقولون هذا وما يدعوهم إليه ليس موطن ريبة أو شك، وما ينهاهم عنه لا يستمسك به إلا من حُرِمَ الهداية وفقد العقل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢)

﴿أَتَنْهِنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ قول يقوله الملأ من قوم صالح، يردده من يكذب المرسلين بلا رشد أو علم، ولا يقولون شيئاً عن صواب وخطأ ما كان عليه آباؤهم وهم يعبدون صنماً، ويُقدِّسون حجراً !!

والنفوس إذا تددت فسدت وأفسدت، وإذا أشركت برّبها ضلت وأضلت، ولا حمى للإنسان - من فساد وإفساد - إلا بإسلام الوجه لله، وإخلاص السدين له، ولا مُنقذ له من ضلال إلا بهداية ربه وحسن الاستجابة لأمره.

**صالح عليه السلام يذكر قومه بنعمة الله :**

دعا صالح عليه السلام قومه إلى عبادة الله وعدم الإشراك به، وحذَّره من سوء العاقبة إن هم أصرُّوا على المخالفة والعصيان، وأمرهم أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه؛ وفاءً

(١) هود : من الآية ٦٢ .

(٢) البقرة : ١٧٠ .

لنعمه، وخَوْفًا من عذابه، وقد استخلفهم من بعد عاد - الذين دَمَّرَ اللهُ عليهم، وأخذهم بذنوبهم - فليعتبروا بما وقع لهم، وليحذروا أن يُصيِّبَهُمَ ما أصابهم.

كما ذكَّروهم بنعم الله عليهم، وقد كانت هذه النعم جديرة بأن يستجيبوا لدعوته، ويُخلصوا عبادهم لله تعالى صاحب هذه النعم ومُسدِّدِها.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

دعاهم إلى ما دعا إليه كلُّ نبيٍّ ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ﴾

وعرفهم أن الله - وحده - هو المستحق للعبادة دون سواه ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنْ

الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

خلق، ورزق.. ومن غيره يخلق أو يرزق؟

ومن لا يخلق لا يستحق أن يُعبَدَ، ومن لا يرزق لا يستحق أن يُشكَّرَ.

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ

وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) هود : ٦١ .

(٢) النكبت : ١٧ .

﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ  
وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١)

نِعْمَ أُعْطِيتُمْ لَهُمْ، وَرِخَاءَ سَادَ دِيَارِهِمْ، فَمَا حَفِظُوا النِّعْمَةَ، وَلَا شَكَرُوا مَنْ أَنْعَمَ  
عَلَيْهِمْ بِهَا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَخْلَفَهُمْ بَعْدَ قَوْمِ دُمُرُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَأُخِذُوا بِمَعَاصِيهِمْ !

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تُطْعِمُهُمُ النِّعْمَةَ، وَتُلْهِمُهُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَتَشْغَلُهُمْ عَمَّا يَجِبُ أَنْ  
يَكُونَ، فَلَا يَفْقَهُونَ مِنْ سَكْرَتِهَا وَنَشْوَتِهَا إِلَّا بَعْدَابٍ يَحِيقُ بِهِمْ، أَوْ بِلَاءٍ يَنْزِلُ  
بِسَاحَتِهِمْ، وَرَبَّمَا اسْتَدْرَجُوا بِمَزِيدٍ مِنَ النِّعَمِ، فَظَنُّوا - وَهِيَ عُصَاةٌ - أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ، وَمَا  
دَرَوْا أَنَّهُمْ مُسْتَدْرَجُونَ.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَخَنَّا عَلَيْهِمْ  
أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ  
﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

\* \* \*

قَوْمٌ صَالِحٌ يَطْلُبُونَ مِنْ نَبِيِّهِمْ آيَةً:

وَلَمْ يَكْفِ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ صَالِحٍ بَرَفُضٍ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا ذَكَرَهُمْ بِهِ،

(١) الأعراف : ٧٤ .

(٢) الأنعام : ٤٢ - ٤٥ .

بَلْ أَمْتَدَّ بِكُمْ الْجُحُودُ وَالتُّكْرَانُ إِلَى أَنْ يَطْلُبُوا مِنْهُ آيَةً تُبْرِهنَ لَهُمْ عَلَى صِدْقِ دَعْوَتِهِ.  
وما طلبوا الآية رغبةً في الهداية والإيمان، وإنما طلبوها مُبالغةً في تكذيبه، ورغبةً  
في إظهار عجزه، وما ذرُّوا أن الآية إذا جاءت فلن يُنظروا بعد جُحودها.  
طلبوا الآية فجاءكم بعد إنكارهم أن يكون النبيُّ بشراً مثلهم؛ جرياً على عادة  
المكذِّبين من قبلهم ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

لقد عرف نبيُّ الله إسرارهم على الكُفر، واستمسكهم بالباطل، وأنَّ ظهور  
حُجَّتِهِ لن يزيدهم إلا إصراراً واستكباراً ﴿ قَالَ يَنْقُومِ آرَاءُ يَتَمَنَّوْنَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ  
مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي  
عَبْرًا تَحْسِرُ فِيهَا ﴾<sup>(٢)</sup>

ومع هذا نرى صالحاً عليه السلام يقطع عليهم السبيل في الجُحود والإنكار، ولا يدع  
لهم حُجَّةً في تكذيب وإعراض، فيأتيهم بالناقاة آية من ربهم، ويحذرهم من الفتنك بها،  
ويخوفهم من الإقدام على قتلها.

﴿ وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا  
تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾<sup>(٣)</sup>  
﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا

(١) الشعراء : ١٥٤ .

(٢) هود : ٦٣ .

(٣) هود : ٦٤ .

تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

ومضت الأيام والناقة تسعى بينهم، آية من آيات ربهم، يُبصرها المؤمنون، ويحجدها الكافرون، تَرِدُ الماء يوماً، وتُصَدُّ عنه يوماً، فأيقن مَنْ أيقن بِصِدْقِ بُرُوتِهِ، ولكن المستكبرين من قومه ضاقوا بهذه الآية، ورأوها سَدًّا له يزيد من اتباعه، ويُطِلُّ لهم كُلَّ حُجَّةٍ في تكذيبه والإعراض عنه، فبَيَّتُوا مكرهم، وعملوا على دحضها وقتلها، وغاب عنهم أن الله مُطَّلِعٌ عليهم، يعلم ما تُكِنُّه صدورهم وما تُخفيه نفوسهم.

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾<sup>(٣)</sup>

وظنوا أنهم بما فعلوا قد أبطلوا آيته، وأذهبوا معجزته، فقالوا - مبالغاً في التكذيب، وإصراراً على الطغيان والحدود -: ﴿ أَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .. ظنوا أنهم - وقد فعلوا ما نهاهم عنه - قد أفلتوا من عقاب، وأهم قد سبقوا، ولن يُصيبهم ما أُنذِرهم به من عذابٍ قريب.. ونسوا أن كُلَّ تدبيرٍ للباطل زاهقٌ كما يزهقُ الباطل ﴿ وَلَا تَحْقِقِ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾<sup>(٤)</sup>

ونبي الله يُرَدُّ عليهم قائلاً: ﴿ يَنْقُومِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) الأعراف : من الآية ٧٣ .

(٢) الأعراف : من الآية ٧٧ .

(٣) القمر : ٢٩ .

(٤) فاطر : ٤٣ .

(٥) النمل : من الآية ٤٦ .

## قوم صالح يمكرون به :

من أعجب ما تراه في دُنيا الناس أن تُخاطَبَ إنساناً بالحُجَّةِ والبيِّنة، فيُجيبك بالإساءة والسخرية !

وأعجبُ من ذلك أن يحاول التَّيْلَ منك بالتشهير وسوء التدبير !!

وأكبرُ من ذلك وأعظمُ أن يقع الاعتداء على الدَّاعين إلى الله، الناصحين الأماناء، الذين يهدون بالحقِّ وبه يعدلون !!!

لقد رأيتَ - من قبل - ما كان من قوم صالح في عَثْوهم عن أمرِ ربِّهم وعصيانهم رُسُلَهُ، واستخفافهم بكلِّ تحذيرٍ وإنذار، وارتكابهم ما حذرهم منه ونهاهم عنه.

لقد حذرهم أن يمسُّوا الناقةَ بسوء، فاجترحوا الذُّبَّ، واقترفوا الإثم، وتمادوا في استخفافهم، وسألوه أن يُعجِّلَ بعذابهم، ويأتِيهم بما وعدَّهم.

وانتقل المكرُّ بالآيةِ إلى المكرِّ بصاحبِ الرسالةِ والمبلِّغِ لها، فاجتمع نفرٌ من قومه، وتفاخروا - فيما بينهم - أن يباغِتوه وأهله، من غير أن يراهم أحدٌ، وكنتموا الأمرَ، وبيتوا الشرَّ، واضمروا له ولأهله القتلَ، ولكن الله أحبط مكرهم، وردَّ كيدهم، ونجَّى نبيَّهُ ممَّا أرادوا به، وانقذه والذين آمنوا معه برحمةِ منه، وأخذ الظالمينَ بظلمهم، ودمَّرهم بكفرهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهَطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٢﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا وَمَكْرَئًا مَكَرًّا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْتَهُمْ

وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾ فَبَلَغَ بَيُّوتَهُمْ حَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ وَأُنْحَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿١﴾

\* \* \*

إنَّ منهجَ الأنبياءِ بَيِّنٌ وَّاصِحٌّ، في مقدّماته ونتاجه، في بدايته وغيابته..

طريق نيرٍ لا لئسَ فيه، مستقيمٌ لا عوجَ معه..

وَمَنْ جَحَدَهُ أَوْ عَادَاهُ، كان عاقبةُ أمرِهِ خُسْرًا.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ۗ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۗ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۗ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدمدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۗ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۗ ﴾ ﴿١﴾

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۗ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ۗ إِنَّا إِذًا لَنُفِي صَلْبَلٍ وَسُعُرٍ ۗ أَءَلْفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ۗ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الكَذَّابِ الْأَشْرِ ۗ إِنَّا مُرْسِلُوا النّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۗ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۗ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۗ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۗ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۗ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ۗ ﴾ ﴿٢﴾

إن الحقَّ لا يُعادى، ومَنْ كَذَّبَ بالحقِّ اضطرب أمرُهُ، ومَنْ عاداه دُمْرًا، وساءت

(١) النمل : ٤٨ - ٥٣ .

(٢) الشمس : ١١ - ١٥ .

(٣) القمر : ٢٣ - ٣٢ .

عاقبته، ولا نجاة إلا لمن آمن بالحقّ وصدّق المرسلين.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنَ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ۝ ﴾<sup>(١)</sup>

أخي المسلم: أرأيت أن الحقّ الذي جاء به الأنبياء لا يُعَادَى، وأن الله - الذي أرسلهم بالحقّ - قد وعدَ بنصرهم ونصير من آمن بهم.

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٦٩﴾ ۝ ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَأْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧١﴾ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٢﴾ ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

(١) هود : ٦٦ - ٦٨.

(٢) غافر : ٥١.

(٣) الصافات : ١٧١ - ١٧٣.

## مع نبي الله إبراهيم عليه السلام في دعوته

جديرٌ بنا ونحن نتدبرُ منهجَ الأنبياء في الدَّعوةِ إلى الله، أن نعرف ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؛ لتتبع ملته، ومن أتبع ملته كان أولى الناس به ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٢)

لقد كان إبراهيم عليه السلام جامعاً لخصال الخير، مائلاً عن الباطل إلى الحق، مُطيعاً لربه، شاكراً لأنعمه ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ (٤)

ومن احتباه الله، وهداه إلى صراطٍ مستقيم جديرٌ أن نتبع ملته، وأن نقفدي بهُده، وأن يكون فيه أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥) وفي القرآن الكريم بيان لسيرته، وحديثٌ عن دعوته، وإظهارٌ لمواقفه.

(١) آل عمران : ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) النحل : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٣) النحل : ١٢٣ .

ويستطيع المُتدبِّرُ في كتاب ربِّه أن يعرفَ منهجَه في الدَّعْوَةِ إلى الله تعالى، وأن يُدركَ ذلكَ من خلال حوارِه مع أبيه، وحوارِه مع قومِه، ويرى ثباتَه وصدِّقَه، وحُسنَ توكلُه على ربِّه، كما يرى مِنَّةَ الله عليه وفضلَه ورحمته وهو يرُدُّ كيدَ المتآمِرِين عليه، ويجعلهم الأَخسرِين.

### حواره ﷺ مع أبيه :

ولنستمع إلى ما قاله إبراهيمُ ﷺ لأبيه وهو يدعوهُ إلى عبادة الله وحده وعدم الإِشراك به، وقد كان والده يُتخذ من الأصنام آلهةً يعبدها، ويتقرَّبُ إليها.

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ  
يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٢﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ  
جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٣﴾ يَتَابَتِ لَا  
تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ  
يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ  
جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهَةِ بَرْكَاتٌ كَمَا جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهَةِ لَأَتَّبِعَنَّ وَلَا أَصْطَلُكَ  
بِشَيْءٍ مِنَ الْبَرَكَاتِ إِنْ جَاءَكَ مِنْهُ بَرْكَاتٌ كَمَا جَاءَكَ مِنَ الْإِلَهَةِ لَأَتَّبِعَنَّ  
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٦﴾ وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١٧﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا  
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٨﴾ وَوَهَبْنَا  
لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

أرأيت كيف دعا إبراهيمُ إلى عبادة ربِّه.. وكيف كانت حُجَّتُه فيما دعا إليه.

إن مَنْ يدعو إلى الحقِّ لا يلجأ إلى غير الحق في بيان ما يدعو إليه، وفي الحقِّ  
حكمة ورُشدٌ، وفيه غنى ورحمةٌ لصاحبه، ولمن جاء به أدبٌ وخلُقٌ، لا يُجاوزُه مهما  
أساء مَنْ يخاطبه.

وأنت ترى ذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب أباه بالقول اللين، ويُناديه  
بالكلمة التي تحمل معنى الصلَّة والتراحم، وتمتزج فيها العاطفة بالصدق، والنصح بالبرِّ،  
والبيان بالحجَّة والرهان ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ  
شَيْئًا﴾ ﴿١٢﴾ (١) !؟

فأي مصلحة تعود إليك وأنت تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يبصرُ، ولا يُقدِّمُ لك نفعاً ولا  
يدفعُ عنك ضرراً، ولا يملك لك حياةً ولا موتاً؟!؟

إن مَنْ يعبدُ غيرَ الله يوالي الشيطان (وهو عدوٌّ، وللرحمن عَصِيٌّ)، ومَنْ حاد عن  
الصراط السَّويِّ اقتادته الشياطينُ إلى سبيلٍ مُضِلَّةٍ مُهْلِكَةٍ، ومن البرِّ بمن تدعوه والرحمة به أن  
تُحذِّره من أتباع السبيل، وأن تُبصره بالعواقب والنتائج، وتُرغبه في أتباع الصراط المستقيم،  
صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

وما على الداعي إلا أن يُبلغ في حكمة ورُشدٍ، وهداية (التوفيق) بيد الله وحده  
﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿٢﴾

لقد بذل إبراهيم عليه السلام النصح لأبيه، ولم يأل جهداً في تبصرته وتذكيرته، والإحسان  
إليه، والحرص على هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٣﴾

(١) مريم : ٤٢ .

(٢) الكهف : من الآية ١٧ .

(٣) القصص : من الآية ٥٦ .

وهذه الحقيقة لها أثرها البالغ في حُسْنِ التوجُّه إلى الله، والاستعانة به، وصِدْقِ الرجاء فيه، كما أنَّ لها أثرها في تواضع النفس واعتدالها، وبعدها عمَّا يُبطلُ العملَ مِنْ مَنْ أَوْ أذى، أو يُحبطه من شريكٍ أو رياءٍ.

وما أكرمها من كلمات ينطقُ بها مَنْ أُوحيَ إليه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۖ ﴾ (١)

ذاك هو الطريق، وهو ما دعا إليه الأنبياء ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَلْتُكُمْ بِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢)

### موقف أبيه منه:

لقد رأينا - من قبل - ما كان من إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وكيف دعاه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهما عمَّا كان عليه من عبادة الأوثان والأصنام ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ ﴾ (٣)

(١) الكهف : ١١٠ .

(٢) الأنعام : ١٥٣ .

(٣) مريم : ٤٢ - ٤٥ .

هذا ما كان منه مع أبيه.. رَفِقَ، وَلِينٌ، وَحُجَّةٌ، وَبُرْهَانٌ، وَإِحْسَانٌ إِلَيْهِ، أَيْ إِحْسَانٌ.. فَمَاذَا كَانَ مِنْ أَبِيهِ؟ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴾ (١)

ومع فظاظة القول، وقسوة التهديد لم نَرَّ إبراهيمَ ﷺ يميلُ عن منهجه، أو يُبَارِحُ مَا أُتِّصِفَ بِهِ مِنْ رُشْدٍ وَثَبَاتٍ وَحِكْمَةٍ ﴿ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (٢)

استقامةً على منهج الحقِّ، ودعوةً إلى الله بالكلمة النَّيِّرَةِ وَالخُلُقِ الْقَوِيمِ، وَحُسْنِ تَوَكُّلٍ عَلَى اللَّهِ فِي مَوَاجَهَةِ مَنْ يَطْغَى وَيُوسِيءُ..

أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ تَقْتَرِنُ بِصِدْقِ الْكَلِمَةِ.. فَلَا يَرَى مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَى الْكَلِمَةِ تَنَاقُضًا بَيْنَ مَا يُقَالُ وَمَا يُفْعَلُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ إِذَا دَعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ فِي إِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ.

### إبراهيم ﷺ يعتزلُ أباه:

هكذا يعلنُ نبيُّ الله إبراهيمُ عن دعوته إلى الله بقوله وفعله.. وها هو - الآن - يعلنُ براءته من أبيه واعتزاله لما يعبد من دون الله ﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (٣)

الأبُ أَبٌ وَلَهُ حَقٌّ، وَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ لِلْأَبِ وَالِابْنِ، وَكَلِمَتُهُ هِيَ الَّتِي تُسْمَعُ،

(١) مريم : ٤٦ .

(٢) مريم : ٤٧ .

(٣) مريم : ٤٨ .

وأمره هو الذي يجب أن يُطاع « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ».

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾<sup>(١)</sup>

إن الإيمان يُحدِّد للإنسان مساره، ويضبط سلوكه، ويجعل صلته بغيره بدافع من مرضات الله، لا من هوى النفس. وميزانه - فيما يقبل أو يرد - شرع الله وما نزل من الحق ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾<sup>(٢)</sup>

وهكذا الدين - في جوهره - طاعة واتباع.

وهذا إبراهيم عليه السلام في - منهجه - يبرأ مما يبرأ الله منه، ولا يجذ في قلبه مودة لمن أشرك به أو عاداه ﴿ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾<sup>(٣)</sup>

ولم يكن هذا الموقف من إبراهيم عليه السلام - بادئ ذي بدء - دون إعدار وبيان، بل كان بعد أن أخلص النصح لأبيه، وبصره بما يجب أن يكون عليه من الوفاء لله وإخلاص الدين له.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان.

(١) المتحة : من الآية ٤ .

(٢) الأحزاب : ٣٦ .

(٣) التوبة : من الآية ١١٤ .

يَصْدُقُونَ مَعَ اللَّهِ، وَيُخْلِصُونَ النَّصِيحَ لِعِبَادِهِ، فِي حِكْمَةٍ وَرُشْدٍ، وَرَحْمَةٍ وَبِرٍّ، وَخُلُقٍ كَرِيمٍ يَدْعُو إِلَى حُبِّ النَّاسِ لَهُمْ، وَشُعُورِهِمْ بِهِمْ، خُلُقٌ يُعَلِّمُ النَّاسَ أَنْ يَتَنَافَسُوا عَلَى الْمَكَارِمِ، لَا عَلَى الْمَغَائِمِ، وَأَنْ يَجْرَحُوا عَلَى مَرَضَاتِ رَبِّهِمْ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِمْ، وَأَنْ تَبْرَأَ حَيَاتُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ، وَأَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُمْ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ صِدْقِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَحُسْنِ الْاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِهِ؛ أَسْوَةٌ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَاسْتِجَابَةٌ لِنِدَاءِ اللَّهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

عندئذٍ تنتصر الفضائلُ، وينعم الناسُ بنعمة العدل، وطمأنينة الأمن، وبرِّ الوفاء، ويفوزون برضى الله ورحمته ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

### حواره عليه السلام مع قومه:

إِنْ مَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ غَايَتَهُ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِهَا، وَأَنْ يَعْتَصِمَ بِالصِّرِّ وَالثَّبَاتِ فِي تَحْقِيقِهَا، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِحَالِ مَنْ يَدْعُوهُمْ؛ لِتَكُونَ حُجَّتُهُ إِلَيْهِمْ مَلَائِمَةً لِحَالِهِمْ، مُصْلِحَةً لَشَوْغِهِمْ.

ولتندبر ما كان عليه إبراهيم عليه السلام؛ لِنَرَى كَيْفَ عَالَجَ قَضَايَا قَوْمِهِ وَجَادَلَهُمْ، وَكَيْفَ كَانَتْ حُجَّتُهُ نَاصِعَةً فِي بَيَانِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، أَوْ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ.

(١) التوبة : ٢٣ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٧٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا  
تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ هَا عَنكِفِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾ أَوْ  
يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ (١)

سألهم عما يعبدون، فأجابوا قائلين: ﴿ تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ هَا عَنكِفِينَ ﴾ وهو يعلم أنهم يعبدون أصناماً، ولكنه أراد أن يُقروا بما هم عليه؛ ليخطبهم بما يجب أن يكونوا عليه.

إنهم - بألسنتهم - يقولون: ﴿ تَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ وفي ذلك ما فيه من إثباتٍ لضلالتهم بقولهم، لا بقول أحدٍ عنهم.

ومن هنا يستطيع إبراهيم أن يوجِّه الخطاب إليهم ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ (٧٧) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٨﴾

وفي خطاب إبراهيم عليه السلام ما فيه من حثٍ على التفكير والتدبر؛ إذ كيف يعبد الإنسان ما لا يسمع ولا يُبصر، ولا يُغني عنه شيئاً؟! ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾

فلم يجيبوا بنفي أو إيجاب.. لم يقولوا: « يسمعون » أو « لا يسمعون »؛ لأن الحجة تلزمهم في الحالين: إن قالوا: « يسمعون » علموا من أنفسهم أنهم كاذبون، ولا حجة لديهم فيما يقولون. وإن قالوا: « لا يسمعون » فقد أقرُّوا أنهم يدعون مسا لا يسمع.. وتلك قاضية عليهم، ومحيطة بهم.

ثم ينتقل إبراهيم عليه السلام إلى مرحلة أخرى في حوارهم، فيسألهم ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ﴾

(١) الشعراء : ٦٩ - ٧٤.

أَوْ يَضُرُّونَ ﴿؟ مَنْ يَعْبُدُ إِلَهُاً يَرْجُو مِنْهُ نَفْعاً، أَوْ يَخْشَى مِنْهُ ضَرّاً، وَالْقَوْمُ يُسْأَلُونَ عَنْ هَذَا وَذَلِكَ فَلَا يُجِيبُونَ بِنْفِي أَوْ إِبْتِاتِ.

وإذا كانت هذه الأصنام التي تعبدون لا يسمعونكم إذ تدعون، ولا ينفعونكم أو يضرون، فكيف تعبدونهم وهذا حالهم؟!

### ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

وإذاً هو التقليد لما كان عليه الآباء، دون نظر أو تدبُّر، وهم بإجابتهم

﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ يُقْرُونَ أَنْ لَا حُجَّةَ لَدَيْهِمْ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ.

لقد وصل إبراهيم عليه السلام بقومه - وهو يحاورهم - إلى إقرارهم بما يعبدون، وأنهم يُقلِّدون فيما يفعلون.. ومع إقرارهم بهذا، ومع نفي السَّمْع عنهم والنفع والضرر، يُصِرُّون على تقليد الآباء، ويأبون إلا الاقتداء بهم واتباع ما كانوا عليه !

وكم في الدنيا من ناسٍ أضُرَّهم التقليدُ دونَ نَظَرٍ أو تدبُّرٍ، مع علمهم يُبطلان ما هم عليه، وضلالهم فيما يُقلِّدون ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٦١﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٢)

(١) الأحقاف : ٥٠ ، ٦ .

(٢) الزحرف : ٢٦ - ٢٨ .

جعل إبراهيم عليه السلام هذه الكلمة - وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخَلَعَ ما سواه مِمَّا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ - جعل كلمة التوحيد، «لا إله إلا الله» دائمةً في ذرِّيَتِهِ، يقتدي به فيها مَنْ هداه الله.

والبراءة مما سوى ذلك تصحيحٌ لمسار الإنسانية، وأخذٌ بيدها من ظلمات الباطل ومناهات الفساد والضلال.

\*\*\*

إن النفوس إذا آمنت بالباطل، وكفرت بالحق، هانت وخسرت، وهوت في مكان سحيق ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ (١)

إن مَنْ يعبد صنماً يكون أهون منه؛ إذ المعبود - بدهاة - أعزُّ من العابد..  
وا عجباً للإنسان حين يدعو ما لا يسمعه، ويرجو ما لا ينفعه، ويفقد كرامته حين يتخذ ولياً غير ربِّه، ويدعى إلى ما ينفعه فيصِرُ مستكبراً كأنَّ في أذنيه قرأ!

إن إبراهيم عليه السلام - وهو يرى قومه عاكفين لأصنامهم، لاصقين بما وجدوا عليه آباءهم - يُعلمهم بأنه عدوٌّ لِمَا يَعْبُدُونَ هم وآباؤهم الأقدمون؛ ليؤكد لهم أن ما يعبدون من دون الله لا يسمعون، ولا ينفعون، ولا يضرّون.. وها آنذا أعلن عداوتِي لهم دون خوفٍ من فواتِ منفعةٍ، أو وقوعِ مضرةٍ ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعٰلَمِينَ ﴾ (٢)

(١) العنكبوت : من الآية ٥٢.

(٢) الشعراء : ٧٥ - ٧٧.

فهو - وحده - الجدير بأن يُخاف ويُخشى، وأن يُعبد ويرجى ﴿ الَّذِي  
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ  
يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي  
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ <sup>(١)</sup>

وهو - وحده - الذي يستحق العبادة دون سواه ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ <sup>ط</sup> ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ  
وَأَشْكُرُوا لَهُ <sup>ط</sup> إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ <sup>(٢)</sup>  
ذاك هو البيان الذي لا التباس فيه ولا تكلف.

مَنْ خَلَقَ جَدِيرٌ أَنْ يُعْبَدَ، وَمَنْ رَزَقَ جَدِيرٌ أَنْ يُعْبَدَ، وَمَنْ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ لَا  
يُعْنَى عَنْ غَيْرِهِ شَيْئاً ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ  
يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ <sup>(٣)</sup>  
ومن الظلم للنفس أن تُؤخذ إلى الدمار، وأن تُقَادَ إلى الخسران بفعل صاحبها  
﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ <sup>ط</sup> فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ  
الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ <sup>(٤)</sup>

(١) الشعراء : ٧٨ - ٨٢ .

(٢) العنكبوت : ١٦ ، ١٧ .

(٣) النحل : ٢٠ ، ٢١ .

(٤) بونس : ١٠٦ .

أرأيت كيف يُخاطب إبراهيم عليه السلام قومه في ثقة وثبات وحكمة ورشد، ويُبين لهم أن ما يعبدون من دون الله لا يسمع ولا يبصر، ولا يضُرُّ ولا ينفع.. وهم لا يردُّون شيئاً ممَّا تُسبِّب إليهم، ولا يُنكرونه، بل يقولون: ﴿ وَجَدْنَا آءَابَاءَنَا كَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

فيرشدهم - بعد إقرارهم ببطلان ما هم عليه - ويدعوهم إلى مَنْ يُحقِّق لهم النَّفْعَ، ويدفع عنهم الضُّرَّ، ويسمع دعاءهم، ويطعمهم، ويسقيهم، ويُميتهم، ويحييهم، وتُرْجى منه المغفرة يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، والخلقُ - جميعاً - محتاجون إليه، وعائدون إليه، ومُحاسبون بين يديه.

ذاك هو ربُّ العالمين الذي دعاهم إبراهيم إلى عبادته، وأقام لهم الحجة على ما دعاهم إليه ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) <sup>(١)</sup>

ومَنْ كانت هذه صفاته وجب على العبد أن يعبده، ولا يعبدُ غيره، ويرجوه، ولا يرجو سواه ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٨٣) <sup>(٢)</sup>

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ (٨٤) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (٨٥) <sup>(٣)</sup>

(١) الشعراء : ٧٨ - ٨٢.

(٢) يونس : ٣٢.

(٣) فاطر : من الآية ١٣، الآية ١٤.

ذاك هو منهجُ الأنبياء في الدَّعْوَة إلى الله، طريقٌ مستقيمٌ، فيه هُدىٌ ونور، وله حُجَّةٌ وبرهانٌ، فطوبى لِمَن اقتدى به واهتدى بهُداه ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

\* \* \*

### موقفُ قوم إبراهيم منه:

رأينا - من قبل - ما كان من إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وكيف برَّ به، وأحسن التصحُّح له، ووعدته أن يستغفر له، فلمَّا تبَيَّن له أنه عدوٌّ لله تبرَّأ منه.

كذلك رأينا ما كان منه مع قومه، وكيف كانت حُجَّتُه وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.. كل ذلك في آيات تُبيِّن منهجه، وتذكر حُجَّتَه، وتُظهر ما كان عليه قومه من ظلام التقليد، وإفك الضلال، وفقدان الحُجَّة والبرهان.

ولنتدبر ما جاء في سورة (الأنبياء) من حوار؛ لنرى كيف تُقام الحُجَّة وتُساق البيِّنة.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٦٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٦٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٣﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٥﴾ وَتَاللَّهِ

(١) الملك : ٢٢ .

لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا  
 هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ  
 الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا  
 بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا  
 يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا  
 يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ  
 نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ  
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ لَكُمْ  
 وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا  
 آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴿١﴾

في هذه الآيات نرى إبراهيم عليه السلام يضع قومه أمام أصنامهم وهي مُحطمة، وهم  
 يقبلون عليها يسألون ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا ﴾ ؟ ولو فكروا ما سألوها، بل زادوا  
 في تكسيرها، وقد بان لهم بطلانها.. ولكنه العمى والضلال يقود صاحبه إلى المكابرة  
 والجحود ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾

يا الله من الظالم ؟

من دعا إلى الحق ؟ أم من جحدته واتبع الباطل !؟

(١) الأنبياء : ٥١ - ٦٨ .

(٢) الأنبياء : ٥٩ .

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُٗٓ إِبْرَاهِيمُ ۝ <sup>(١)</sup>﴾

يذكرهم بماذا ؟ إنه يذكرهم بما فيهم ولا يزيد، ولا يقول إلا الحق في بيان حالها ومآلها، ولكن القوم أبوا إلا أن يُحضروا إبراهيم، وأن يسألوه ﴿ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَاهِتِنَا يٰٓإِبْرَاهِيمُ ۝ <sup>(٢)</sup>﴾

فخاطبهم إبراهيم بما يوقظ عقولهم، وهم يرون أصنامهم مُلقاةً عند أرجلهم، والصنم الأكبر تُلقى التهمة عليه فلا يردّها، وتُعلقُ الفأس به فلا يأبأها، وإبراهيم عليه السلام يحاول إيقاظ قومه بما فعل، فلا يجد فيهم رُشداً ولا عقلاً، بل يرى أصناماً تهيم في أصنامٍ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۝ <sup>(٣)</sup> فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۝ <sup>(٤)</sup> ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۝ <sup>(٥)</sup>﴾

﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۝﴾ هكذا يُقرّرون بأنفسهم، وهذا ما أراده إبراهيم، أن يعودوا بالأمر على حقيقته، وأن تستيقظ عقولهم لسماع ما يُلقى عليهم، وتُدبر ما يُقال لهم ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ <sup>(٦)</sup> أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ <sup>(٧)</sup>﴾ <sup>(٤)</sup>

ولكن العقول التي أراد إيقاظها جمدت، والنفوس التي سعى هدايتها ضلت ﴿ وَلَوْ

(١) الأنبياء : ٦٠ .

(٢) الأنبياء : من الآية ٦٢ .

(٣) الأنبياء : ٦٣ - ٦٥ .

(٤) الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧ .

عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ (١)

القوم يقولون لبيهم عن آلتهم التي يعبدونها من دون الله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هتولاء ينطقون﴾ ﴿٢٣﴾ (٢) ومع هذا يصرون على عبادتها وتضرتها، ويكيدون لمن جاء لإنقاذهم من ضلالتها ﴿قالوا حرِّقوه وأنصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ ﴿٢٤﴾ (٣)

وأوقد القوم نارهم، وبناؤ بنيانهم، وقالوا قولتهم: ﴿أبْنَا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٢٥﴾ (٤) وما دروا أن النار ستكون ناراً عليهم، وبرداً وسلاماً على إبراهيم؛ لأن الله الذي خلقها هو الأمر لها ﴿قلنا ينار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٦﴾ وَخَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَسِيدِينَ ﴿٢٩﴾ (٥)

\* \* \*

(١) الأنفال : ٢٣ .

(٢) الأنبياء : من الآية ٦٥ .

(٣) الأنبياء : ٦٨ .

(٤) الصفات : من الآية ٩٧ .

(٥) الأنبياء : ٦٩ - ٧٣ .

## إبراهيم عليه السلام يُلقي في النار:

إن الأنبياء - صلوات الله عليهم - يُخاطبون أقوامهم بالحجة والبرهان، ويدعونهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويصرونهم بما يُحقق لهم الفوز والفلاح في دنياهم وأخراهم.

ولكن الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يرون في دعوة الأنبياء كبحاً لشهواتهم، ودفعاً لأهوائهم، فينصبونها العداء، ويصدون عن سبيل الله، ويعيثنها عوجاً دون نظر إلى ما هم مقبلون عليه، أو قادمون إليه ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾<sup>(١)</sup>

وقد يرتكب أهل الكفر والباطل من الحماقة والجحود ما يدفعهم إلى الإساءة لمن جاء يُحسن إليهم ويرحمهم! قد يدفعهم إلى تدبير القتل، وتبييت الكيد، وإنفاذ المكر، وما ذروا أن كل ذلك وبأله عليهم، وأن مكرهم السيئ لا ينجح إلا بهم، والأمور بعواقبها، ومن تدبر العواقب أيقن أن الحق لا يهزم أبداً، وأن الباطل زاهق - لا محالة - مهما طغى وتجر.

والقرآن الكريم حينما يحدثنا عن الأنبياء وما جرى معهم إنما يُصّر بما يجب أن نكون عليه من أتباع الحق وحبّه وإيثاره، ونحن نرى مصائر الخلق وما ينتهون إليه، فكهم دبر أهل الباطل لدعاة الحق من كيد، فردّ كيدهم، وزهق باطلهم، وانتصر الحق وفاز أهله.

نرى ذلك فيما وقع لإبراهيم عليه السلام، وقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا

(١) إبراهيم : من الآية ٢، الآية ٣.

شريك له، وَنَصَحَ لَهُمْ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ مَغَبَةٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ..  
لكن القوم أبوا إلا الكُفْرَ والعناد، فأصدروا أمرهم بإحراق إبراهيم؛ انتصاراً لآلِهَتِهِمْ  
التي صارت جُذاداً على يديه.

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (١)

يا الله !! أيُّ آلهة يروُن نصرَها !؟

حجارة ينحتونها بأيديهم، ثم يعبدونها !؟

وتقع هذه السفاهة، ويُعتدى على خليل الله إبراهيم عليه السلام !!

\* \* \*

إبراهيم عليه السلام يُعلنُ توكله على ربِّه:

إن الأنبياء دُعاة حق، لا يصرفهم الكيدُ عن التمسك بالحق، ولا يستخفهم  
الذين لا يوقنون.

إنهم دُعاة إلى الله، في الشدة والرخاء، والعسر واليسر.. دُعاة إليه، لا إلى غيره..  
وعليه يتوكلون، لا إلى غيره.

والثبات على الحق دعوة صادقة إليه.. والرسل الكرام هم أشدُّ الناس ثباتاً على  
الحق، وأقواهم في الصّدق به، والدّعوة إليه، لا يصرفهم عنه خطبٌ نازل، ولا يُثني  
عزائمهم ما يلاقونه من كيدٍ أو صدٍّ، بل تقوى عزائمهم بحُسنِ توكلهم على ربِّهم.

النار يُوقدها الجاحدون لإبراهيم، فيقابلها - حين يُلقى فيها - بـ « حسي الله

(١) الأنبياء : ٦٨.

ونعم الوكيل» فإذا النار نار على من أوقدوها، وإذا هي - بقول الله لها - تكون برداً وسلاماً على إبراهيم.

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكَمِ إِن كُنْتُمْ فاعِلِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٨﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ﴿٦٧﴾»<sup>(٢)</sup>

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> كانوا بفعلتهم هم الأخسرين، وكانوا بمكرهم هم الأسفلين ﴿ وَلَا تَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> والمؤمن الصادق رايح في جميع الأحوال، رايح في سرّائه بشكره، ورايح في ضرّائه بصبره.

ومن تدبّر العواقب أيقن أن دُعاة الحق لا يُغلبون، وأن الحق - الذي يدعون إليه - قد ينتصر وهم يُقتلون.

ولكن الناس - كثيراً - ما تصرفهم الرغائب عن العواقب، وتلهيهم العاجلة عن

(١) الأنبياء : ٦٨ - ٧٠.

(٢) آل عمران : من الآية ١٧٣.

(٣) الأنبياء : ٧٠.

(٤) فاطر : من الآية ٤٣.

الآخرة، فيتوهمون النصر فيما يُعجّل لهم، والخير فيما يُمدّون به من مال وبسنيين، ويجهلون - في كثير - أنهم مُمتحنون بالقبض والبسط، والغني والفقير، وأن الخير - كلُّ الخير - في خشيتهم من ربّهم، وإيمانهم بآياته، وإخلاصهم في عبادته، ورجائهم في رحمته، وخوفهم من عذابه.

وذاك ما يدعو إليه المرسلون، وما يُرسلون من أجله.

وفي ذلك ما فيه من أَمْنِ الناس في دُنْيَاهُمْ، وفوزهم وفلاحهم في أُخْرَاهُمْ. ومَنْ طلب أَمْنَ الناس وسلامتهم بعيداً عن إصلاح النفوس، فقد ضلَّ الطريق؛ فَإِنَّ النفوس إذا صلحت عملت على إصلاح ما فَسَدَ من أحوالها، وإذا فسدت أفسدت ما صلح من حالها.

والأنبياء قد بُعثوا هداةً للناس إلى طريق مستقيم، ودُعاةً إلى الله ربِّ العالمين، وفي منهجهم إصلاح - أيّ إصلاح - لسلوك الفرد وروابط المجتمع، وفي دعوتهم إعلاءً لقيمة الإنسان وهو يعبد ربّه ولا يُشرك به شيئاً.

في دعوتهم طُهرٌ للنفوس من البغي والفساد والطغيان؛ حيث لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فالإصرار والثبات على التمسك بهدى الأنبياء إصرار على إقامة الحق والعدل، وإشاعة الخير، والكف عن الشر، وفي ذلك ما فيه من وفاءٍ للخالق، وبرٍّ بالخلق ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

\* \* \*

(١) العنكبوت : ٦٩.

حواره ﷺ مع النمرود<sup>(١)</sup>:

إِنَّ مَنْ تَدَبَّرَ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَجَدَ الْهُدَايَةَ وَالتَّبَصُّرَةَ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شَعْنِ الْحَيَاةِ،  
وَنَادَى بِمَا نَادَى بِهِ الدَّعَاةُ الصَّادِقُونَ ﴿يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَنْ  
لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٢﴾

ومن أَيْبَنَ ما تراه في منهج الأنبياء - وهم يدعون إلى الله - : سُلْطَانُ الْحُجَّةِ  
والبيان.

الحُجَّةُ التي تُغْلِقُ على الخصم كُلَّ السُّبُلِ، وتفتح أمامه سبيل الحق نَيْرًا لا التباس  
فيه، وتجعل المعاند مبهوتًا لا يملك ردًّا، ولا يُطِيلُ جَدَلًا، وتتسق مع حِصَالِ المخاطب  
وفهمه، وتبتعد عن الجدال العقيم الذي لا يُراد به سوى المغالبة دون شرفٍ أو غاية.

وأنت ترى خليلَ الله إبراهيم ﷺ - وقد آتاه الله الحُجَّةَ - يضعها في  
موضعها، ويخاطب مَنْ حاجَّهُ بالخِطَابِ الملائم لحاله.

وتدبِّرُ موقفه مع مَنْ حاجَّهُ في رَبِّه تَرى حُجَّتَهُ قد جاءت ملائمةً لحال هذا الطاغية  
المتجبر الذي يدَّعي لنفسه ما ليس لها، وينسب لها ما لا يُنسَبُ إلا إلى ربِّ العالمين.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
فَلِمَ آتَى اللَّهُ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ

(١) هو ملك بابل . نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . قال مجاهد : وملك الدنيا - مشارقها ومغاربها -

أربعةً : مؤمنان وكافران ، فالؤمنان : سليمان بن داود ، وذو القرنين . والكافران : نمرود ، ويختصر . تفسير ابن كثير

(٢) يس : من الآية ٢٠ ، الآية ٢١

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾

إن إبراهيم عليه السلام يُنبّه هذا الطاغية إلى حقيقة ملموسة في ذاته، إنها حقيقة الموت والحياة، وهي جارية عليه، واقعة فيه كما تقع في غيره، ولكن الكبر والطغيان قد أعماه فلم يستبصر ولم يتذكر، بل ادعى لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة؛ معاندة ومكابرة ! لقد أراد إبراهيم عليه السلام أن يُبصره بنفسه، وأنه مخلوق لخالق، وقد أتى عليه - كغيره من الخلق - حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، لكن هذا المغرور نسي خلقه، وأخذ يُجادل في ربه.. بل تطاول وتمادى في غيّه، فنسب لنفسه هذه الحقيقة التي لا يملكها إلا الله الذي لا إله إلا هو.

فما كان من إبراهيم عليه السلام - وقد آتاه الله الحجّة - إلا أن صَفَعَهُ بها، فأسكته وأبطل ادّعاءه.

إذا كنت تُحیی وتمیت - كما تدّعي - فالذي يُحیی ويُمیت هو الذي يتصرّف في الوجود، ويُجریه على سُنن لا تحيد، فالشمس - وهي آية من آيات الله الذي يحيي ويميت - يأتيها من المشرق، فإن كنت تزعم أنك تُحیی وتمیت، فأتِها من المغرب.

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾<sup>(٢)</sup>

فأحرس بالحجّة التي لا مجال فيها للمكابرة والمعاندة ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

(١) البقرة : ٢٥٨.

(٢) البقرة : من الآية ٢٥٨.

إن إبراهيم عليه السلام - وقد آتاه الله الحجة - يواجه بها أصنافاً من أهل الشرك والضلال، فيخاطب كل فريق بما يناسب حاله، ويُقوِّم معوجَّهه، ويُصلح فسادَه، ويدعوه إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

وأدلة الحق قائمة في حياة الناس، في الآفاق وفي أنفسهم، وليست بمعزل عنهم، وما على الناس إلا أن يُحسنوا التدبُّر، وأن يصغوا للعظة والعبرة، وهم واجدون في كلِّ شيء آيةً لله تدل على أنه الواحد.

وبذا تتحقق لهم الخشية، وتستقيم القدوة، وتُقام الحجة، ويجدُّ الناس - في منهج الأنبياء - إيقاظاً لعقولهم، وطمأنينةً لقلوبهم، وهدايةً في كلِّ شأن من شؤونهم، كما يجدون أمناً لدينهم وأخراهم.

وذاك هو المراد من الحجة في منهج الأنبياء.

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١)

\* \* \*

(١) الأنعام : ٨٠ - ٨٢.

## ابتلاء الله تعالى لإبراهيم:

إن الأنبياء - صلوات الله عليهم - دُعَاةٌ إِلَى اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ، دُعَاةٌ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

وأخلاقُهُمْ فِيهَا مِنَ الثَّبَاتِ وَالشُّمُولِ مَا يَجْعَلُهُمْ أُسْوَةً لِلخَلْقِ، فَالصِّدْقُ عِنْدَهُمْ صِدْقٌ مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالْعَدْلُ عَدْلٌ مِنَ الْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ، وَالْأَمَانَةُ مَرْعِيَّةٌ فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ، وَهُمْ - فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ - يَعْمَلُونَ بَدَافِعٍ مِنْ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَصِدْقِ الْإِخْلَاصِ لَهُ، وَحُسْنِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ.. وَهَذَا مَا تَسْمُو بِهِ الْأَخْلَاقَ، وَتَتَظَنَّرُ بِالْأَصَالَةِ وَالشُّمُولِ وَالثَّبَاتِ، فَلَا تَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ، وَلَا تَكُونُ بَدَوَافِعِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ..

كم يلقى الأنبياء من بلاء « وَأَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ »<sup>(١)</sup>، وَلَا تَرَى مَعَ شِدَّةِ بِلَائِهِمْ، وَسَفَاهَةِ أَعْدَائِهِمْ، لَا تَرَى إِلا قُوَّةً فِي عِزَائِهِمْ، وَثِبَاتًا فِي أَخْلَاقِهِمْ، وَاسْتِجَابَةً صَادِقَةً لِنِدَاءِ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِمْ، وَكَلِمًا اشْتَدَّ بِلاؤُهُمْ كَلِمًا ازْدَادُوا ثِقَةً فِي كَشْفِ الضَّرِّ عَنْهُمْ ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن هنا يكون الثبات على الحق والتمسك بمكارم الأخلاق.

وها نحن نتدبر منهج إبراهيم عليه السلام في الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تعالى، فنرى من بلائه ما قد وقع في رؤياه، حين رأى في المنام أنه يذبح ابنه - ورؤيا الأنبياء حق - فلم يتوان إبراهيم في الاستجابة لأمر الحق، وأخبر ابنه بما رأى ﴿ قَالَ يَبْنَؤِي إِنِّي أَرَى فِي

(١) رواه البخاري.

(٢) يونس : ١٠٧.

الْمَنَامِ أَنِّي أَدْخُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿<sup>(١)</sup>

والابنُ يعلم أن ما رآه والدُه هو من أمر الله، وأمرُ الله يجب أن يُطاع، فلم يتوان في حثِّ والده على تنفيذ أمر الله فيه، مهما صعب الأمر عليه أو شقَّ ﴿ قَالَ يَتَأَبَّتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

هكذا الأنبياء ترى الصبرَ فيهم خُلُقاً مبعثه إخلاصُ دينهم لله، وصدق معرفتهم له.

هكذا الأنبياء ينصرون الله في أنفسهم، وهم يعلمون أن حياتهم وموتهم لله وحده، لا لأحدٍ سواه ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ<sup>(٣)</sup> وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>

أب يقول لابنه: ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَدْخُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ وابن يجيب والده: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

ألست ترى أن أمرَ الله عندهم هو الغالب في نفوسهم، وأن الخضوع له والرضى به سمةٌ لا تتخلَّف في جميع أمرهم.

إن من يُقدِّم نفسه أو ابنه رضياً لربِّه وطاعةً لأمره، سيكون لما سواهما أطوع وأرضى، ومن نصر الله في نفسه - بتغليب أمره على هواه - استطاع أن ينصره في جميع شأنه..

(١) الصفات : من الآية ١٠٢ .

(٢) الصفات : من الآية ١٠٢ .

(٣) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

والنفوس حين تُمتَحَن هذا الامتحان، وتُبتلى هذا الابتلاء، ويعلم الله منها صدق جهادها وصرها، تكون داعية إلى الله بتقواها وصرها، لا في جيلها فحسب، بل للأجيال كلها، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا ما كان لإبراهيم من ذِكْرٍ في الأولين، وسلامٍ في الآخرين.

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٦﴾ وَنَدَيْتَنَّهُ أَنْ بِنِّ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٧﴾ قَدْ صَدَّقْتَ  
الْأَرْثَىٰ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُمِينُ ﴿١٩﴾  
وَفَدَيْتَنَّهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢١﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ وَشَرَّعْنَاهُ  
بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

\* \* \*

### أخي المسلم:

لقد كان إبراهيم عليه السلام - في جميع أحواله - داعياً إلى الحق، مؤمناً به، يصدع بما أمر به، في حلم ورشد واحتماب.. نصح لأبيه وقومه، ولقي منهم ما لقي، فصبر وصابر، وأوذى في سبيل الله فما وهن لما أصابه، وما ضعف أو استكان، وما ركن إلى باطل، أو استخف من لا يوقنون، بل صدع بالحق، ودفع بالتي أحسن، وكان له حُجَّتُه وبرهانه في كُلِّ ما يؤمن به ويدعو إليه، وله منهجُه الذي لا يلتبس بغيره أو يختلط بسواه، وكانت له مواقفه التي تبرهن على صدق إيمانه، وقوة حُجَّتِه، ومكارم خُلُقِه، وحميد خِصَالِه.

(١) الصفات : ١٠٣ - ١١٢.

فكان - صلوات الله وسلامه عليه - مثلاً وأُسوةً لأهل الإيمان في كُلِّ زمان

ومكان.

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾  
شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجْتَبَلَهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا  
حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

\* \* \*

(١) النحل : ١٢٠ - ١٢٣.

## مع نبي الله موسى عليه السلام في دعوته

إن الثقة في وَعْدِ اللَّهِ أَصْلُ في عقيدة المسلم. وهذه الثقة لها أثرها البالغ في سلوك المؤمن وأخلاقه.

والقرآن الكريم - وهو يحدثنا عن الأنبياء - يُرينا من الآيات ما يزداد به الإيمان ويحق اليقين.

وستابع - معاً - حديث القرآن الكريم عن نبي الله موسى عليه السلام؛ لنرى نشأته، ومنهج دعوته إلى الله.. وفي ذلك ما فيه من موعظة وذكرى للمؤمنين ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحُ عَلَى الْأَنْبَاءِ هُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (١)

(١) هود : ١٢٠.

(٢) القصص : ١ - ٦.

وعُدَّ من الله، ووعدُ الله حقٌّ.

فلنرَ كيف وقع الحقُّ وبطلَ كُلُّ تدبيرٍ في دفعه أو ردِّه، وكيف حفِظَ اللهُ مَنْ أراد حفِظَه «وَمَنْ حَفِظَهُ اللهُ لَا يُضِيعُهُ النَّاسُ»

إنَّ القرآنَ الكريمَ يجعلنا نرى الرضيعَ الذي قصده فرعونُ - والذي قتلَ من أجله مَنْ قتلَ، وهو يظنُّ أنه قد احتاطَ لنفسه، وحالَ دُونِ ظُهورِ مَنْ خافَهُ على نَفْسِهِ - يجعلنا نرى الرضيعَ وهو يصلُ إليه، فيتحوَّلُ الذَّبَّاحونَ إلى خَدَّامينَ، ويعودُ موسى إلى أمِّه - في حراستهم - لِترضيعه، وتأخذُ أجرًا، مُكرِّمةً بوعدِ رَبِّها، مَحُوطةً بعنايته. <sup>(١)</sup>

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٧﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١١﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) قال رسول الله ﷺ: «مثل الذين يغزون من أمي ويأخذون الجمل يتقرون على عدوهم، مثل أم موسى، تُرضع ولدها، وتأخذ أجرها» رواه البيهقي في السنن الكبرى.

(٢) القصص: ٧ - ١٣.

هكذا يتحقق الوعد، ويرد موسى إلى أمه، ويسخر في رده عدوه !

ومن قبل أوحى الله إلى أم موسى أن ﴿ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

فِي الْيَمِّ ﴾

يا الله !! من ذا الذي يقول لأم تخاف على ابنها أن يذبح كما ذبح غيره، من ذا

الذي يقول لها: ﴿ فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾؟!

لا يقول ذلك إلا من يخضع اليم لأمره.

ومن أيقن بذلك أخلص الله قصده، وأحسن عمله.

\* \* \*

### الثقة في وعد الله تعالى:

إن الثقة في وعد الله أصل في عقيدة المسلم، لها أثرها في سلوكه وأعماله، ولها

نتائجها فيما يأخذ أو يدع. والله لا يخلف وعده ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

الثقة في وعد الله تُحقق من صفات الخير - في دنيا الناس - ما يحفظ أمتها،

ويقيم سلامها، ولا شيء يبرئ بدنيا الناس كما يبرئها سعي الآخرة التي يوقن بها المؤمن

ويريد حرثها.

الثقة في وعد الله هي التي تنهض بها العزائم، وتقوى الهمم، وتنشد معالي

الأمر، وتبعد عن سفسافها.

(١) الروم : ٦.

الثقة في وَعْدِ اللَّهِ هي التي فتحت أبواب التنافس على الخير، وجعلت كرامة الناس في تقواهم.. وما تميّزت صفوفهم، وتباينت مواقعهم.

فَمَنْ أَيْقَنَ بِوَعْدِ اللَّهِ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ وَالرَّسُولَ ﷺ يُحْتُمُّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَهُوَ يَقُولُ مُسْتَهْضِئًا هِمَمًا: « قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ »

وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ يُلْقِيهِ رَسُولُهُ ﷺ عَلَى أَسْمَاعِ أَصْحَابِهِ، فَتَدْفَعُ الثِّقَةُ وَالرَّجَاءُ أَحَدَ أَصْحَابِهِ (١) أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ « بَيْحُ بَيْحٍ » (٢) وَيُلْقِي بِتَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ، يَرَاهَا مُطِئَةً لَهُ فِي النَّيْلِ بِمَا وَعَدَّ، وَيَقُولُ: « لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ » (٣)

ثِقَةٌ فِي الْوَعْدِ تَدْفَعُ إِلَى الْجُودِ بِالنَّفْسِ، وَالصَّدَقِ فِي الْقَصْدِ، وَالثَبَاتِ فِي اللَّقَاءِ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

والقرآن الكريم - وهو يهدي للتي هي أقوم - يُرِينَا مِنْ تَحْقِيقِ وَعْدِ اللَّهِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ مَا يَزِيدُهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَتَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ.

وقد رأينا - من قبل - ما تحقّق لأُمِّ مُوسَى مِنْ رَجُوعِ ابْنِهَا إِلَيْهَا مَكْرَمًا، يُخَدِّمُهُ مَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، وَتُرْضِعُهُ وَتَأْخُذُ أَجْرًا ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)

(١) هو الصحابي الخليل عمير بن الحنّام الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) كَلِمَةٌ تُطْلَقُ لِتَفْجِيزِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ فِي الْخَيْرِ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٤) العنكبوت : ٦٩.

(٥) القصص : ١٣.

هكذا يتحقق وَعَدُّ اللَّهِ، وَيُرَى ذَلِكَ فِي مَشْهَدٍ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَحْشَسُونَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ.

رَضِيعٌ يُوحَى لِأُمِّهِ ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي آلِيهِمْ فَلْيَلْقِهِ آلِيَهُمْ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلَهُ ﴾<sup>(١)</sup>، وَفِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاهِلِ - بَلْ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ - حَظَرٌ مُحَدِّقٌ، وَلَكِنَّهُ وَعَدُّ اللَّهِ الَّذِي يَدِينُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

إِنَّ الْخَطَرَ يَبْلُغُ ذِرْوَتَهُ حِينَ يَصُلُّ الرَضِيعُ إِلَى يَدِ الْقَوْمِ فِي وَقْتٍ يُذْبَحُ فِيهِ كُلُّ مَنْ يُوَلَّدُ.. فَيَصِلُ مُوسَى إِلَى الْأَيْدِي الَّتِي تَذْبَحُ، أَوْ تَأْمُرُ بِالذَّبْحِ، فَتَهَيِّأُ قُلُوبَ لِحْبِهِ، وَكَذَلِكَ نُفُوسٌ لِحِفْظِهِ، وَيَتَحَوَّلُ قَصْدُ الْقَوْمِ مِنْ قَتْلِهِ إِلَى خِدْمَتِهِ، وَيَسْعَوْنَ لِإِجَادِ مُرْضِعَةٍ تُرْضِعُهُ، وَيَصِلُونَ إِلَى أُمِّهِ يَرْجُوْنَهَا أَنْ تَكُونَ هِيَ الْمُرْضِعَةُ، وَلَهَا مَا نَحْبُ !! وَالْقَوْمُ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْجَعَهُ إِلَيْهَا، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْمُرَاعَةَ مِنْ قَبْلِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ الْأُمُّ الَّتِي أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

قِرَاءَنُ يُتْلَى عَلَى النَّاسِ لِيَتَّقِيَ النَّاسُ فِي وَعْدِ رَبِّهِمْ وَيُوقِنُوا، فَلَا يَفِرُّونَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ إِلَّا عَلَيْهِ.

وَكَمَ اللَّهُ مِنْ وَعْدٍ فِي كِتَابِهِ يَجِبُ أَنْ يُتَدَبَّرَ وَأَنْ تُوقِنَ النُّفُوسُ بِهِ؛ لِتَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ :

(١) طه : من الآية ٣٩.

(٢) الأعراف : من الآية ٥٤.

(٣) القصص : من الآية ٧.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي  
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي  
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا  
وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ ﴾

﴿ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا  
يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا  
حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ  
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَكُمُ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ ﴾

أخي المسلم: كنْ على ثِقَةٍ بوَعْدِ اللَّهِ، ولا تَرَكَنَّ إلى من يُنْسِيكَ وَعَدَّهُ،  
وَيُغْرِيكَ. بما سِوَاهُ، واحذِرْ ما يَعدُّكَ به الشَّيْطَانُ وما يُسْوِئُ لَكَ ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ  
وَلِيًّا مِن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٦﴾ يَعدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَمَا يَعدُّهُمْ  
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنَهَا مَخْرَجًا ﴿٨﴾ ﴾

(١) النور : ٥٥ .

(٢) فاطر : ٥ - ٧ .

(٣) لقمان : ٣٣ .

(٤) النساء : من الآية ١١٩ ، الأيتان ١٢٠ ، ١٢١ .

أخي المسلم: تحقّق وعُدُّ الله لأُم موسى، ورَدَّ موسى إليها مُكرِّمًا؛ لترضعه وتأخذُ أجرًا ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

والقرآن الكريم حين يقصُّ علينا ذلك إنما يريدُ لنا أن تُركَنَ إلى الله وحده، وأن نثقَ في وعده، وأن نأخذَ بأسبابِ نصرِه، وأن نكونَ على يقينٍ «فَمَنْ يَنْصُرُهُ اللَّهُ لَا يُغْلَبُ، وَمَنْ يَحْفَظْهُ لَا يُضَيِّعُ»

«احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتِ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ، وَاعْلَمِي أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»<sup>(٢)</sup>

هكذا يُطلبُ الحِفظُ، ويُرجَى النَّصرُ.

وحديثُ القرآن الكريم عن نشأة موسى عليه السلام يُوحِي إليك بأن تكونَ حيثُ يُحبُّ الله، لا حيثُ تُحبُّ أنت؛ لأنَّ الله يعلمُ وأنت لا تعلمُ، والله - وحده - هو القادرُ على أن يرُدَّ الكَيْدَ، وأن يهزِمَ الجمعَ، وأن يجعلَ من يُعدُّ لك كيداً عَوْنًا لك، وأن يُسخِّرَهُ لخدمتك، وأن يستعملَهُ لِنصرتك!

هكذا جعلَ الله آلَ فرعونَ - وهم يكيدونَ - عَوْنًا لمن كادوا له، وسخَّرَهم لخدمته، واستعملَهم في رعايته، وهم لا يشعرون ﴿فَالْتَقَطَهُرَّاءُ الْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِئَلَّا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ

(١) القصص : ١٣.

(٢) رواه الترمذي.

أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾

القصة تُوحي - لمن تدبرها - أن الأخطار لا تُقصرُ الآجالَ، وأنَّ مَنْ دَنَسَتْ مَنِيَّتَهُمْ يُدركهم الموتُ ولو كانوا في بُرُوجٍ مشيدة.

والقصة إذ تُوحي بذلك تجعلُ عِزَمَ الإنسانِ مُنعقدًا على الوفاءِ لله وحُسْنِ الاستجابة له، دون خوفٍ من انتقاصِ رِزْقٍ أو أَجَلٍ، « فلن تموتَ نفسٌ حتى تستوفي رزقها »<sup>(٢)</sup>، ﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾<sup>(٣)</sup>

مَنْ ذَا الذي يتصوَّرُ أنَّ أُمَّا تخافُ على ابنها - وهو حَضِيئُها - تقدُّفُهُ في التابوتِ، ثم تقدُّفُهُ في اليمِّ ولا تخافُ!؟

مَنْ ذَا الذي يتصوَّرُ أنَّ في ذلك أُمَّا له!؟

ومَنْ ذَا الذي يستطيعُ أن يربطَ على قلبها وهي تفعلُ له وترضى، وهي التي كانت تخشى عليه وهو في حَضِنِها!؟

إنَّ القرآنَ الكريمَ - وهو ينقلنا من بُعدِ التَّصوُّرِ إلى الواقعِ - يُعلِّمنا أنَّ طمأنينةَ القلوبِ في ذِكْرِ اللهِ لا في أعراضِ الحياة، فالقلبُ قد يطمسُنُ والأخطارُ مُحَدِّقَةٌ، وقد يفرِّغُ والريِّحُ ساكنة، والله - وحده - هو الذي يَمُنُّ على مَنْ يشاءُ من عباده، فيُحَفِّظُ بحفظه، ويُصنَعُ على عينه.

اللهُ وحده هو الذي يربطُ على القلوبِ فلا تفرِّغُ حيث تتوقَّفُ أسبابُ الفرعِ،

(١) القصص : ٨ ، ٩ .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) المنافقون : من الآية ١١ .

وهو الذي يأمرُ الأشياءَ ويُسخرها في خدمةٍ من شاء.

الله - وحده - هو الذي يأمرُ الماءَ ليكونَ ذلولاً وموسى على ظهره، ويأمرُ الريحَ لتكونَ طيبة؛ حتى يصلَ موسى إلى حيثُ يريدُ الله أن يصلَ.

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٩﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾  
 أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي آلِيهِمْ فَلْيُلِقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي  
 وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

فلنعلم كيف نُحسِنُ التَّوَكُّلَ على الله ونحن نأخذُ بالأسباب، وليكن لنا في منهج الأنبياء أسوة وقُدوة ﴿ أَوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ ﴾<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

### بداية الصراع بين الحق والباطل:

القرآن الكريم - وهو يَقْصُ علينا قصصَ الأنبياء - يُرينا منهجهم في واقعٍ عمليٍّ، وهم دُعاةٌ إلى الله، فلنرَ كيفَ كانتَ عنايةُ الله بهم ونصْرُهُ لهم، وفي ذلك ما فيه من دعوةٍ إلى الله تفتَرِنُ بالدليلِ، وتعنصمُ بالحجةِ.

إنَّ موسى عليه السلام - وهو يدعُو إلى الله - يعلمُ كيفَ تكونُ عنايةُ الله به وهو يُقصدُ لِقْتَلَ ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>

ومن يتدبَّرُ حديثَ القرآنِ عنه - في نشأته - يراه تأييداً لدعوته، وحُجَّةً ناصعةً

(١) طه : ٣٧ - ٣٩.

(٢) الأنعام : من الآية ٩٠.

(٣) طه : من الآية ٣٩.

لعبادة ربّه، والله الذي حفظه ورعاه في صباه هو الله الذي آتاه حكماً وعلماً لما بلغ أشده ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾<sup>(١)</sup>

وتبدأ رحلة الصّراع بين الحقّ الذي يؤمنُ به، ويوقنُ بتأييد الله له، وبين الذي يرى سَطوته وظلمه وإفساده لحياة الناس من حوله.

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۗ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۗ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ

(١) القصص : ١٣، ١٤.

مَدِينَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠﴾ (١)

\*\*\*

يُمكننا - ونحنُ نتدبرُ هذه الآيات - أن نرى ما فيها من عبرٍ وعِظَاتٍ:

إنَّ موسى عليه السلام يعرفُ ما يُلاقيه قومه من عنتٍ واضطهادٍ، وما يُظهره فرعونُ وقومه من ظُلمٍ وفسادٍ، ولذا كانت استجابته لرجلٍ من شيعته حين استغاثه على رجلٍ من عدوّه، وأن يردّه عنه، فوَكَّرَهُ ولم يردِّ قتلَهُ، فكانت القاضية ﴿فَوَكَّرَهُ مُوسَىٰ فَاقْضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فكان لما وقع أثرُهُ ونتائجُهُ.

أولاً: في نفسِ موسى؛ إذ نراه يُسرِعُ في نَدَمِهِ وطلبِ المغفرةِ من رَبِّهِ ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾

وفي قوله: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ فيه ما فيه من صدقِ المعرفةِ والفرارِ إلى الله في طلبِ المغفرةِ، وبيان أنَّ ما وَقَعَ منه ظلمٌ لنفسه قبل أن يكون تجاوزاً مع غيره، مع أن موسى عليه السلام لم يردِّ قتلَهُ، وإنما أرادَ دَفْعَهُ.

ثانياً: لقد كان هذا الحادثُ - وما تلاه - سبباً في هجرةِ موسى عليه السلام وتوجهه تَلْقَاءَ (مَدِينِ).

وفي جميعِ أمرِهِ تلمِسُ حُسْنِ لُجُونِهِ إلى رَبِّهِ وطلبِ الهدايةِ منه.

- يقول - وقد وكرَّ رجلاً من عدوِّه ففضى عليه -: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾، ويقول: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٧)، والمعنى: لن أستعمل قوتي هذه في موازرة ظالم أو معاونته. - ويقول - وقد جاءه رجل من أقصى المدينة يخبره بتأمر الملائة عليه، وينصحه بالخروج: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨)

- ويقول وقد توجه تلقاء مدين: ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٩) وهكذا تراه - في جميع خطاه - يذكر ربه، ويطلب هدايته، ويتشدد رضاه.

\* \* \*

### موسى عليه السلام في أرض مدين:

ويعضي موسى عليه السلام إلى أرض (مدين) خائفاً يترقب، يقطع المسافات الشاسعة غير مزودٍ إلا بالاعتماد على ربه وحسن الرجاء فيه ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠)، وقد هداه ونجاه من القوم الظالمين. وها هو قد وصل إلى حيث لا تمتد إليه يد الظالمين ولا تقترب منه بسوء.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (١١) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ (١٢) ﴿ (١)

(١) القصص : ٢٣، ٢٤.

مُرُوءة المؤمن تُلَازِمُه حيثُ كان، وعلى أيِّ حال..

لقد انتهى موسى إلى ماءٍ (مَدِينٍ) وهو مجهود، ولكنَّ المشهد الذي رآه استنهضه لكي يصنع معروفًا، ويقدمَ عونًا لامرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء حتى ينتهي الرعاةُ وهم يوردون أنعامهم لتشرب من الماء.

تقدَّم موسى للمرأتين يسألهما عن أمرهما ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

عرف سبب تأخيرهما عن ورود الماء، فهما امرأتان والرعاة رجال، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعي، ولا سَنَدَ لهما لكي يتقدما على الرجال، فهما يتعدان ولا يُراحمان.

تقدَّم موسى عليه السلام - وهو غريب عن القوم - ليضع الأمر في نصابه، ويسقي للمرأتين أولاً قبل أن يسقي الرعاة ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾

هكذا فعل.. وهو فعل يُبنى عن أصالة نفس لم تتردد في فعل المعروف وتقدم النجدة، والوقت حَرٌّ وقيظ، وموسى غريب في أرض لا يعرفها، مطارَد من عدوِّ لهُ سَطُوَّةٌ وقوة.. ولكن هذا كله لا يُقعدُ موسى عن تلبية داعي المروءة والواجب ولو كان في إغْيَاءٍ من سفر طويل.

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ ليريح جسده المكدود بعد سفر شاق طويل، وبعد مغالبة لأولئك الرعاة الذين يسقون ولا يقدمون من يستحق أن يردَّ الماء قبلهم.

إن موسى حين فعل المعروف، وقدم العونَ لم يطلب أجرًا، وإنما أدَّخر ما فعل عند ربِّه، ودعاه أن يأخذ بيده وهو في هاجرةٍ وقيظٍ ووحشةٍ وحاجة.

دعاه وهو يأخذُ بأسباب طاعته ورضاه، وأي شيء أَرْضَى اللهُ من صنائع المعروف وعون العبد لأخيه؟ «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»<sup>(١)</sup>

﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ فقير إلى الله وحده، لا إلى الناس، فقير إلى فضله وكرمه، فقير إلى رعايته وحفظه.

ولا يكاد موسى ينتهي من مناجاة ربه حتى نرى الفرج يقترب منه، والاستجابة من ربه تحقق له الأمن والطمأنينة والإيواء ﴿ لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

حقق الله له الأمن بعد خوف ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ وصلت إلى دار لا سلطان للظالمين عليها.

ومع الأمن وجد موسى السكن والراحة، أناس يقدرُون صنعه، ويدركون فضله، ويعرفون أمانته.

وهكذا يجعل الله للتقي فرجاً ومخرجاً، ويجعل له من أمره يسراً، ولا شيء أبرّ بالإِنسان من حُسن تقواه وتوكله على الله ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ<sup>٤</sup> وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ<sup>٥</sup> إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ<sup>٦</sup> قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا<sup>٧</sup> ﴿<sup>(٣)</sup>

(١) رواه مسلم.

(٢) القصص : ٢٥ .

(٣) الطلاق : من الآية ٢ ، الآية ٣ .

لقد عرض الشيخ الكبير على موسى - وقد عرف أمانته - أن يزوجه إحدى ابنتيه.. عرض عليه ما عرض - من بناء أسرة وإقامة بيت - في غير تحرج أو التسواء، وهكذا يفعل الشرفاء.

ويعرض الشيخ الأمر على موسى في أدب وصدق، وهو يصر ألا يشق عليه في العمل، ويرجو أن يجده موسى - بمشيئة الله - من الصالحين.

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

أدب رفيع وخلق أصيل، فالشيخ لا يزكي نفسه في الوعد بحسن معاملته، ولا يجزم أنه سيكون من الصالحين، ولكنه يرجو من الله أن يكون كما أراد، ويركن إلى مشيئة الله، ويكل الأمر إليه.

وتم الأمر في يسر، وقبل موسى العرض، وأمضى العقد ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴾<sup>(٢)</sup>

هكذا يكون اليسر، ويكون الوضوح في الغاية.

وأنت ترى أن ذكر الله لا ييارح العرض والقبول ﴿ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ

وَكَيْلٌ ﴾

(١) الفصص : ٢٧.

(٢) الفصص : ٢٨.

ويقضي موسى أطيبَ الأجلين وأكثرهما، ويُتم العشرَ<sup>(١)</sup> باختياره لا بعُدوان الشيخ عليه.. وهكذا الشرفاء حين يعملون، والكرماء حين يُوفُّون، تراهم يُخلصون ويحسنون، ويؤدون عملهم في إتقان وإتمام، وأمانة وصدق.

\* \* \*

### موسى عليه السلام يتوجه إلى فرعون :

وتمضي السنوات العشر، ويسير موسى بأهله إلى حيث أراد الله أن يكون.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَتْلُكَ بِذَلِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَمْرِ سُورٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ بِرُهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَلِّئُنِي إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٥﴾

(١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : « سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ : أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ ؟ قُلْتُ : لَا أَذْرِي حَتَّىٰ أَقْدِمَ عَلَيَّ حَبْرَ الْعَرَبِ فَأَسْأَلُهُ ، فَاقْدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : قَضَىٰ أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا . إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قِيلَ فَعَلَ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِقَائِبَتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ (١)

عاد موسى عليه السلام وقد أمرَ بالتبليغ إلى فرعون كما أمره الله ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٢) غير أنه لم يُعد - كما خرَجَ من قبل - خائفاً يترقب، وإنما عاد ليبلغ رسالة الله في ثقة، ويواجه فرعون ويدعوه إلى عبادة ربه، ويحذره من التمادي في الكفر والطغيان.

عاد ليُعلن رسالة الله ويصبر بالعواقب والنتائج، عاد برسالة بيّنة ومنهج واضح.. عاد وقد اختاره الله وأوحى إليه بما أوحى لرسله وأنبيائه.

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿٣﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٤﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿٥﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٦﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿٧﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (٣)

ذاك هو مجمل الرسالة التي بُعث بها موسى عليه السلام ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

(١) القصص : ٢٩ - ٣٥.

(٢) طه : ٢٤.

(٣) طه : ٩ - ١٦.

وهذا ما أرسل الله به الرسل جميعاً، فهم دُعاة إلى دين واحد شرعه الله لهم ووصّاهم أن يُقيموه ولا يتفرقوا فيه.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ \* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

موسى عليه السلام يسألُ ربَّه المعونة :

ذهب موسى عليه السلام كما أمره الله، وهو يعلم أنه ذاهب إلى طاغية مُستبد يقول

للملأ من حوله - في غير حياءٍ -: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾<sup>(٣)</sup>

ومعه الآياتُ الدالة على صدق ما يدعو إليه <sup>(٤)</sup> يطلب موسى من ربه المعونة والتأييد

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٦﴾ وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿١٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿١٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿١٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٠﴾ اشْدُدْ بِهِمْ أَرْوَاحِي ﴿٢١﴾ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ﴿٢٢﴾ كَيْ تَسْحَكَ كَثِيرًا ﴿٢٣﴾ وَتَذُكِّرَ كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا

(١) الأنبياء : ٢٥ .

(٢) الشورى : من الآية ١٣ .

(٣) القصص : من الآية ٣٨ .

(٤) أيَّد الله موسى بتسع آيات، هي : العصا، واليد، والقحط، والنمط، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع،

والدم [راجع : الإسراء : ١٠١، القصص : الآيتين ٣١، ٣٢، الأعراف : الآيتين ١٣٠، ١٣٣]

بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٧﴾ ﴿١﴾

لقد طلب موسى من ربه ما طلب ليكون عونًا له في ذكره والتسبيح بحمده  
﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣٦﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٧﴾ ﴿١﴾ فَأَجِيبَتْ دَعْوَتَهُ، وَأَتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ  
﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿١﴾

واقترضى المقام أن يذكره ربه بمنته عليه وهو رضيع، والخطر من حوله أقوى  
وأشد، والملا يأتمرون به ليقتلوه.

وفي التذكير ما فيه من ثبات وطمأنينة ويقين، وفي نزول القرآن به وحفظه  
تذكرة وتبصرة وموعظة للمؤمنين.

﴿ وَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ ﴿٣٨﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٩﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي  
التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴿٤٠﴾ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ  
مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٤١﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴿٤٢﴾  
فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٤٣﴾ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴿٤٤﴾  
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٥﴾ وَأَصْطَلَّتْ عَيْنُكَ لِنَفْسِي ﴿٤٦﴾  
أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي ذِكْرِي ﴿٤٧﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٨﴾ فَقُولَا  
لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴿٢﴾

لا تخافا إنني معكما:

ومع أن موسى عليه السلام وأخوه هارون سيقومان بما أمرا به، من القول اللين في

(١) طه : ٢٥ - ٣٦.

(٢) طه : ٣٧ - ٤٤.

مخاطبة فرعون، إلا أن موسى يحتاط في تبليغ دعوته، فيطلب المزيد من التأييد وهو يذهب ومعه أخوه هارون إلى طاغية مستبد ﴿ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغِي ۗ ﴾ قَالَ لَا نَخَافُ<sup>ط</sup> إِنْ نِي مَعَكُمْ<sup>ط</sup> أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿<sup>(١)</sup>

لقد احتاطا من طغيان فرعون بوعده من ربهما، وأنعم به من وعده ﴿ لَا نَخَافُ<sup>ط</sup> ﴾ فلم يعد هناك خوف من أن يفراط عليهما فرعون أو أن يطغى ﴿ لَا نَخَافُ<sup>ط</sup> إِنْ نِي مَعَكُمْ<sup>ط</sup> أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿<sup>(٢)</sup>

الله أكبر. إن فطنة الأنبياء تعي ما قيل. وما قيل يحمل من حقائق الإيمان ما تخشع له القلوب، وتطمئن به النفوس، وتثبت في مواطن البأس ﴿ إِنْ نِي مَعَكُمْ<sup>ط</sup> ﴾ ومن كان الله معه لا يذل ولا يخزي، ومن حفظه الله لا يضيعه الناس.

إنها الكلمة قالها الرسول ﷺ لصاحبه وهما في الغار تحيط بهما قوى البغي والتسلط، ولو نظر أحدهم تحت قدمه لراهما.

﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۗ ﴾<sup>(١)</sup>

كلمة قالها الرسول ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، والصدق يعي دلالتها، ويدرك ما تحمله من الرعاية والتأييد ودفع المكر والكيد.

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

(١) طه : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) التوبة : من الآية ٤٠ .

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (١)

وقد قالها موسى عليه السلام لما تراءى الجمعان، وقال أصحاب موسى: (إنا لمدركون) حين رأوا البحر أمامهم والعدو قد لحق بهم من خلفهم، ولا سبيل لإنقاذ، ولا طاقة لهم في دفع طغيان وكيد.. وقد تبعهم هذا العدو ليستأصل جمعهم.

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٤١﴾ قَالَ كَلَّا ۗ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٤٢﴾ (٢)

قول قاله النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم ما يعنيه هذا القول. وهو - ومن معه - لا يملكون سبباً للنجاة مما يركن إليه الناس أو يأخذون به، ولكنه يؤقن أن القوة لله جميعاً، فما يكون فرعون ومن معه؟ وما يملكون أو يصنعون؟

إن موسى عليه السلام يقول في ثقة ويقين ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾

﴿ إِن مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٤٢﴾ ﴾ بهذا التأكيد الجازم القاطع، وبلا تمهل ينفذ موسى عليه السلام ما أوحى إليه من ربه ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ (٣)، وماذا تفعل عصا موسى للبحر إن ضربت به؟ إن الأمر هو الله، فلينفذ أمره وليطع في الأخذ بالأسباب، ولكن الأسباب وحدها لا تُحقق شفاءً، ولا تقدم عطاء ما لم يأذن الله.

لقد قالها موسى: ﴿ إِن مَعِيَ رَبِّي ﴾ والبحر والبر والسماء والأرض، وكل شيء

(١) التوبة: من الآية ٤٠.

(٢) الشعراء: ٦١، ٦٢.

(٣) الشعراء: من الآية ٦٣.

خاضع لله موثماً بأمره، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

فليمضي موسى وأخوه وليذهبا إلى فرعون في معية الله، وليبلغا رسالة الله، وفي ذلك عظة وعبرة لكل داع إلى الله، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢)

\* \* \*

### حقائق ينبغي ألا تغيب:

لقد أمر الله موسى وهارون - عليهما السلام - أن يذهبا إلى فرعون ليبلغا رسالة الله في غير خوفٍ أو خشيةٍ أن يفرطَ عليهما فرعون أو أن يطغى.

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِقَائِبَتِي وَلَا تَنِينَا فِي ذِكْرِي﴾ (١١) ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (١٢) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (١٣) ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ (١٤) ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (١٥) (٣)

والتدبر في هذه الآيات يقف على حقائق لا بُدَّ منها في الدَّعوة إلى الله تعالى،

منها:

١ - حُسْنُ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ، وَصِدْقُ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ وَالْإِخْلَاصُ لَهُ:

(١) الأعراف : من الآية ٥٤ .

(٢) النور : ٥٢ .

(٣) طه : ٤٢-٤٦ .

وذاك يستلزم مداومة ذكره والتسبيح بحمده ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِغَايَتِي  
وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (١) أي لا تضعُفا. والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل  
يذكران الله في حال مواجهة فرعون؛ ليكون ذكرُ الله عوناً لهما عليه، وقوةً لهما،  
وسُلطاناً كاسراً.

وهذا ما يجب أن يكونَ عليه المؤمن، أن يُكثِرَ من ذكرِ ربِّه؛ فإن ذلك طمأنينةٌ  
لقلبه، وسداداً في قوله، وتوفيقاً في عمله ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ  
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢) (١)  
٢- لزوم الحكمة في تبليغ الدعوة:

ومما يُعين الداعية على تبليغ دعوته أن يُدركَ أن هدايةَ الناس ليست بيده، وإنما  
هي بتوفيق الله وحده، وما على الدعاة إلا أن يُبلغوا رسالةَ الله في صِدْقٍ وَحِكْمَةٍ  
ورُشدٍ، كما أمر الله تعالى وبيّن رسوله ﷺ.

عليهم أن يُخاطبوا الناس بالملاطفة واللين ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٣)  
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٤) (٢)

والقول اللين من قوِيٍّ دلالة قوته. فما بالك والامر هو الله؟ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (٥) (١)

(١) طه : ٤٢ .

(٢) الرعد : ٢٨ .

(٣) طه : ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) فاطر : من الآية ٤٤ .

والله يعلم أن فرعون لن يتذكر ولن يخشى، ولكنه الأمر بما يجب أن يكون عليه الداعي إلى الله من حُسن القول، والدَّعْوَة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قال الله ﷻ: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ ﴾<sup>(١)</sup>

ومن تدبّر منهج الأنبياء في الدَّعْوَة إلى الله - كما جاء في كتاب الله - عرف كيف يكون القول اللين، وعلم كيف تكون الحكمة في مخاطبة من يدعو ويرشده إلى ما يجب أن يكون.

ونحن نتدبّر منهج موسى ﷺ في الدَّعْوَة إلى الله سنرى كيف كان الحوار بينه وبين فرعون، وأن القول اللين الذي أمر به قَوِيٌّ في دلالاته، بليغ في موعظته، حقٌّ كلُّه، لا يقترب الباطل من ساحته.

القول اللين - كما أمر الله - لا يستطيع أعدى الأعداء أن يجد مجالاً لإنكاره، أو سبباً لإبطاله؛ لأنه ذو حُجَّةٍ وسُلْطَانٍ، ونورٍ وبرهان.

القول اللين - كما أمر الله - لا تستخفه سفاهة السفهاء، ولا تميلُ به عداوتهم عن الخلق القويم، والحكمة الراشدة، ولا تُبعده عن الهدف والغاية.

\* \* \*

(١) النحل : من الآية ١٢٥ .

بين موسى عليه السلام وفرعون:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۗ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٤٣﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٤٤﴾ وَهَمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤٥﴾ قَالَ كَلَّا ۗ فَاذْهَبَا بِبَايِنَاتِنَا ۗ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٤٦﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٧﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٤٨﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٤٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذْ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٥١﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٢﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْهَا أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۗ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٥٧﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٥٨﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٩﴾ قَالَ لَنْ آتِخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿١٦٠﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿١٦١﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ ۗ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦٢﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٦٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ (١)

(١) الشعراء : ١٠ - ٣٣.

أخي المسلم: إن الدَّعْوَةَ إلى الله ذات منهج مُحدَّد، فالله لا يُدْعَى إليه إلا بما أَمَرَ وَشَرَعَ، وهو أعلم بِمَنْ خَلَقَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ (١)

والناس منهم كافرٌ ومنهم مؤمن، وفيهم تقيٌّ وفيهم فاجرٌ.

والدُّعَاةُ إلى الله قد يُلاقون من أهل الكُفْرِ والفِسوقِ والعصيان ما يُلاقون، ولكنهم - في جميع الأحوال - مطالبون بالوقوفِ عند المعالم التي حُدِّدَت لهم، والأخذِ بالأسباب التي شُرِعَت، ولا يحملهم الحرصُ على هداية الناس أن يتجاوزوا الضوابطَ والحدود، ولا يدفعهم ما يُلاقونه من صِدْءٍ أو كيدٍ أن يركنوا إلى ظالمٍ، أو يُستخفوا من مستبِدِّ فاجرٍ.

عليهم - في جميع الأحوال - أن يُحسِنوا التوكلَ على الله، وأن يفرُّوا إليه وحده، وأن يكونوا مع الصادقين؛ فإن التوكلَ على الله قوةٌ، والركونُ إلى أهواءِ الناس ضَعْفٌ وذِلَّةٌ ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢)

وقد قلتُ من قبل: إن القولَ اللينَ - كما أمر الله - لا تستخفه سفاهةُ السفهاء، ولا تميلُ به عداوتهم عن الخلقِ القويم، والحكمةُ الراشدة، ولا تُبعده عن الهدف والغاية.

وتدبَّرْ ما قاله فرعونُ، وما أجاب به موسى عليه السلام، ترى فرعونَ يُسئ في قوله، ويبالغُ في إساءته.. يقول لمن حوله - تارةً -: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (٣)؟، وهو يقصدُ

(١) الأنعام : ٣٥.

(٢) البقرة : ١٢٠.

(٣) الشعراء : من الآية ٢٥.

التنديد بموسى، واستنفار الملأ لعداوته.. ومرة يقول: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾، ويهدد موسى ويتوعده قائلاً: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وموسى - مع ذلك كله - يستمسك بالقول اللين الذي لا يُعارض ولا يُنكر.. يستمسك بالحق الذي لا يقترب من ساحته باطل، ويُدلي بالحجة التي لا تُقاوم، ويأتي بالبيان الذي يُحق به الحق، ويطلب الباطل، في اترانٍ وثبات.. وفرعون يُهدد ويتوعد، ويقذف بالكلمات الطائشة، وموسى عليه السلام لا يجيد عن الحق، ولا ينطق إلا بالصدق.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

تلك إجابة موسى تراها صادقة مُشرقة هادية.. فماذا قال فرعون؟

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَبْعُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> استخفاف، وطيش، واستهزاء، فلا ترى موسى عليه السلام يُشغل به، بل يمضي في دعوته راشداً محتسباً ﴿ قَالَ رَبِّكُمُ الرَّبُّ وَالْأُولَى ﴾<sup>(٥)</sup>، ويتمادى فرعون في عتوه، ويبالغ في إساءته ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾<sup>(٦)</sup>، وموسى عليه السلام يستمسك بما أوحى إليه، ولا يُشغل بما سمع من سيابٍ وشتم.. بل يقول كلمة الحق في ثباتٍ ورُشد، وحُسنٍ

(١) الشعراء : ٢٩ .

(٢) الشعراء : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) الشعراء : ٢٥ .

(٤) الشعراء : ٢٦ .

(٥) الشعراء : ٢٧ .

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) لا يُجاري فرعون في سفاوته، بل يُريه - بالحجّة والبرهان - أين يكون العقل، وأين يكون الجنون.. وهو ماضٍ في غايته يهديه إلى ربّه، ويدعوه إلى عبادته ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾  
ومن لم يعترف بذلك ويوقن به، فلا عقل له.

هكذا في كلمات نيرة مشرقة هادية يُثبت موسى الربوبية لله، وفي إثباتها - على النحو الذي ذكره - دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقد أدرك فرعون ذلك، فهذد وتوعّد؛ يريد أن يُثني موسى عن الحقّ، ويُعيده عن الرشد ﴿ قَالَ لَئِن آتَّخَذتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٢)

وتلك وربّي دلالة هزيمة وضعف.. أن تُقابل الحجّة بالسجن، وأن يُردّ العنم بالسفاهة والجهل!

ومع هذا نرى موسى ﷺ يستمرُّ راشداً في دعوته، لئناً في قوله.. لا لكي يرفع السجن عن نفسه، بل لكي يبلغ رسالة ربّه ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مِنْ مِيقِنٍ ﴾ ﴿ قَالَ فَأْتِ بِعَمَةٍ إِنْ كُنْتِ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ (٣)  
ويأت موسى بآيات ربّه، ويزداد فرعون تكدياً وعصياناً، وعتواً وطغياناً.. وموسى ﷺ - في جميع الأحوال - يستمسك بمنهج الله، وهو يأخذ بالأسباب،

(١) الشعراء : ٢٨ .

(٢) الشعراء : ٢٩ .

(٣) الشعراء : ٣٠ ، ٣١ .

ويدعو إلى الله، لا يُبارحُ خُلُقاً أمرَ به، ولا يميلُ عن الطريق الذي حُدِّدَ له..

وهذا ما يجبُ أن يكونَ عليه الدُّعَاةُ إلى الله تعالى في كل زمان ومكان.

**موسى عليه السلام يستشهدُ بآيات الله :**

إن آيات الله في الأنفسِ والآفاقِ تُعينُ الدَّاعِيَ إلى الله تعالى على تبليغِ دعوته، وإرشادِ الناسِ إلى الحقِ وإلى طريقِ مستقيمٍ.

ومع كتاب الله صلى الله عليه وسلم ونحن نندبُ منهج الأنبياء في الدُّعْوَة إلى الله؛ لنرى كيف تكون آيات الله - في الأنفسِ والآفاقِ - عوناً لهم، وبرهاناً على صِدْقِ دعوهم.

ومع هذه الآيات من سورة طه؛ لنرى كيف خاطب موسى عليه السلام فرعونَ وقومه بآيات الله في خَلْقِهِ، ودعى إلى عبادته وحده لا شريك له.

لقد بلغ موسى وهارون - عليهما السلام - رسالة الله كما أمرهما، وقالوا لفرعون ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، وكانَ الدَّعِيَّ المستكبرِ قد رأى أن موسى وهارون يُحردانه من ادعائه الربوبية، فسألهما قائلاً: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَى ﴾ ؟ مَنْ ربكما الذي تدَّعيان أنه أرسلكما ؟

وهو سؤالٌ يوحي بإنكاره ربوبية الله تعالى ربِّ العالمين.

﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَى ﴾ (١) ويأبى أن يقولَ (ربي) كما بلغناه ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، فجاء جواب موسى مُقرِّراً لحقيقةِ تكشُّفِ ما عليه فرعون من كَذِبٍ وبُهتانٍ ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (١) وَمَنْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ هُوَ - وحده - الذي يستحقُّ أن يُعبَدَ دون سواه.

(١) طه : ٥١ .

وهذه الحقيقة - وحدها - كافية في تحقيق المعرفة، معرفة الخالق وخشيته، وإدراك ما لهُ من قُدرةٍ وعلم.. ولكن القلوب حين تعمي تُجادلُ بالباطل، وتكرهُ الحقَّ، وتضلُّ السبيل.

وآيات الله - في الآفات وفي الأنفس - قريبة الدلالة، بيّنة واضحة، تدلُّ على الخالق، وتدعو إليه.. ولكن الجحود يُعمي البصائر فلا ترى ما يُرى، ولا تسمع ما يُسمع ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ <sup>ط</sup> ﴾ <sup>(١)</sup>

من ذا الذي يجادل في أمر الخلق وإسناده لله وحده، وهو يعلم بداية خلقه، وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً!؟

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ <sup>(٢)</sup>

﴿ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ <sup>(٣)</sup>

يُقرّر موسى عليه السلام هذه الحقيقة في يسرٍ ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٣٨﴾ ﴾ <sup>(٤)</sup> فمن الذي يفعل ذلك من دون الله؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ <sup>ط</sup> ﴾ <sup>(٥)</sup>

حقيقة كافية في تبصرة الإنسان وهدايته إلى ما يجب أن يكون عليه من صدق العبادة

(١) الأنفال : من الآية ٢٣.

(٢) الطور : ٣٥، ٣٦.

(٣) النحل : ١٧.

(٤) طه : من الآية ٥٠.

(٥) الحج : من الآية ٧٣.

لله، وإخلاص القصد له، وحسن التوكل عليه.. فكلُّ شيء له ولا شيء لأحدٍ سواه.

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ  
 قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ  
 ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ  
 شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ  
 فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ  
 وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ  
 عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى  
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ (١)

وعندما قرّر موسى بأنّ ربّه الذي أرسله هو الذي خلقه ورزقه، وقدّر فهدى -  
 فهو الذي يستحقّ العبادة دون سواه - شرع فرعونُ يحتجُّ بالقرون الأولى ﴿ قَالَ فَمَا  
 بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ (٢) أي: إذا كان الأمر كذلك، فما بال القرون الأولى لم  
 يعبدوا ربّك، بل عبدوا غيره ؟ فقال له موسى - في جواب ذلك -: هُم وإن لم  
 يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوطٌ عليهم، وسيجزئهم بعملهم في كتاب ﴿ لَا يَضِلُّ  
 رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ (٣) أي لا يشدُّ عنه شيء، ولا يفوته صغيرٌ ولا كبيرٌ، ولا ينسى  
 شيئاً.. يصف الله تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئاً - تبارك وتعالى

(١) المؤمنون: ٨٤- ٩٢ .

(٢) طه: ٥١.

(٣) طه : من الآية ٥٢.

وتقلّس وتنزّه - فإن علمَ المخلوق يعتربه نُقصَانان: أحدهما عدمُ الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه.. والله مُنزّه عن ذلك. (١)

**أخي المسلم:** وعندما يُقرّر موسى عليه السلام هذا الأصل، ويدُكر من صفات ربّه ما يدلُّ على الإحاطة بشئون خَلقه، يتخذ من آيات الله - في السموات والأرض - دليلاً على ما قرّره ودعى إليه.

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿١٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿١٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿١٥﴾ كُلُوا وَارْزُقُوا أَتَعْمَكُمُ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

أي شيء من ذلك لا يراه الإنسان ولا يتفكّر به، وهو من الأرض خُلِق، وإليها يعود، ومنها يُبعثُ مرّةً أخرى!؟

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢)

إن هداية الإنسان إلى الحق تُلازمه، ولا تنفك عنه؛ ليُصلح ولا يُفسد، ويُحسّن ولا يُسئ. ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) طه : ٤٩ - ٥٤.

(٣) طه : ٥٥.

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴿<sup>(١)</sup>

والأرض - وقد جعلت مهذاً للإنسان، وذلواً لخدمته - جعل الله فيها آياتٍ تُخاطبه؛ لكي يؤمنَ برَّه ولا يجحد، ويشكر ولا يكفر.. تُخاطبه ليعرف قُدرةَ الله على بَعثه وجزائه، وهو يرى قُدْرته في خلقه وفي الأشياء من حوله.

وفي المنظور المشاهد من آيات الله ما يدلُّ على قُدْرته فيما خاطب الإنسان به من أمر الغيب من: بَعث، ونشور، وحساب، وجزاء، وجنةٍ أو نار.

﴿ وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>

الأرضُ جعلها الله للإنسان مهذاً، وجعل فيها آيات يُخاطبُ بها الإنسان ليعبداً ربَّه، ولا يشرك به شيئاً ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>

إن الأشياء قد خلقها الله لغاية، خلقها لتبصرة الإنسان وتذكرته لِعِبادة ربِّه، فهو

(١) غافر : ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) فصلت : ٤٠ ، ٣٩ .

(٣) النمل : ٦١ .

وحده الذي يستحقُّ العبادةَ دون سواه ﴿أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> ومن فاته العلمُ بذلك، وقع في الجهالة والكُفر، مع أن آيات الله - في نفسه وفي الآفاق - تُخاطبه أبلغ خطاب، وتُذكِّره بلا انقطاع أن يُحسن الاستجابة لله فيما دعاه إليه.

وكفاه أن يرى ما في الأرض من آيات يستبصرُ بها كما يستبصرُ بما في نفسه

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

من ذا الذي يُمسك الأرضَ لتكون دَلُولاً للإنسان، ومهداً له؟!

وهل يأمن الإنسان أن تُؤمَرَ الأرضُ - وهي خاضعةٌ لربِّها - فتأخذ الإنسانَ في جوفها كما حملته على ظهرها؟! ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾<sup>(٤)</sup>

إن الذي جعلها مهداً هو الخالقُ لها، وهو الأمرُ لها أن تقرَّ أو تمور، وهو الممسكُ لها أن تزول، وهو الذي يُنزلُ عليها من السماء ماءً فتَهْتَرُ وتربو، وتثبتُ من كل زوجٍ بهيج.

﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بِلَا هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

وإذا كان في الأرض - وفيما أنزل الله من السماء - متاع للإنسان والأنعام،

(١) الذريات : ٢٠، ٢١.

(٢) الملك : ١٦.

(٣) النمل : ٦٠.

فإن هذه آيات للتبصرة والذكرى ﴿كُلُوا وَارْزَعُوا أُنْعِمْنَاكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١)

فطوبى لمن استبصر وتذكر، وويل لمن جحد وكفر ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٢)

\* \* \*

إيمان السحرة برب العالمين :

إن الأنبياء جميعاً دُعَاةٌ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣)

ومن أنعم الله عليهم هم الذين يتبعون هذا الصراط، ومن حاد عنه - أو اتبع غيره - هلك وذل، وتوزعت السبل، وقادته الشياطين ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٤)

والدعوة إلى الصراط المستقيم - في منهج الأنبياء - تتم بالاستقامة في كل شيء، في كلمة الداعي، وسلوكه، ومعاملته، فلا ينطق بفحش، ولا يقابل السيئة بالسيئة، بل يدافع - دائماً - بالتي هي أحسن وإن أساء الناس، أو جهلوا، أو أعرضوا،

(١) طه : ٥٤ .

(٢) الحديد : من الآية ٢٠ .

(٣) الشورى : من الآية ٥٣ .

(٤) الأنعام : ١٥٣ .

ولا شيء كصِدْق الإيمان في تحديد سلوك الإنسان، وَعِفَّةِ نفسه وشرفه، وسمو أخلاقه وحُسن معاملته.

والأنبياء - وهم يدعون الناس إلى عبادة الله وعدم الإشراك به - يقودونهم إلى الإصلاح في جميع شئون الحياة، والتمسك بمكارم الأخلاق.

وترى الفارق بين سلوك الإنسان وهو بعيد عن ساحة الإيمان، وسلوكه وهو يعتصمُ بصدق الإيمان.. ترى الفارق بين قوله وعمله ومعاملته لغيره، كما ترى الفارق بين النور والظلمات.

والمتبعون منهج الأنبياء في الدَّعْوَةِ إلى الله يقتدون بهم ويهتدون بهداهم، وانظر إلى حال الناس عندما يتحوّلون من الكُفْر إلى الإيمان، ومِن أتباع الباطل إلى اتباع الحق من ربّهم.

ما الذي كان يشغل السحرة عندما جمعهم فرعون؟ وماذا كانوا يطلبون؟ كان يشغلهم أن يكونوا هم الغالبين، وأن ينالوا من فرعون أجراً، وأن يكونوا عنده من المقربين.

ظلمات يُساند بعضها بعضاً، يُددها - جميعاً - شعاعٌ من نور.. وباطلٌ يُساندُ باطلاً، لا يلبثُ - حين يجي الحقُّ - أن يزْهقَ وأن يزول.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنُنَاكِحُكَ الْغَالِبِينَ ﴿٥٠﴾  
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ هُمْ مُوسَى الْقَوَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٥٢﴾  
 فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

هذا ما كان يشغل السحرة، وما تعلقت به نفوسهم، وقد أحضرهم فرعون

(١) الشعراء : ٤١ - ٤٤.

ليدحض بهم الحق، ويرد ما جاء به موسى! وقد أغراهم بأجرٍ وقربٍ منه، بعد أن جمعهم وحشر الناس ليشهدوا نصرهم.

﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

وفي هذا الجمع الحاشد والزهو المفرط وقع ما أذن الله أن يقع، فإذا بالسحرة يؤمنون وقد رأوا الحق وأبصروا دلائله.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤١﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبِيرِينَ ﴿٤٣﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

تحولٌ عجيب من حال إلى حال عندما استنار القلب بنور الإيمان.

وترى السحرة الذين جاءوا في أول أمرهم يطلبون الأجر، وينشدون القرب من ظالم مستبد، تراهم - وقد آمنوا - لا يهابون تهديد فرعون ووعيده، وترى النور في كلماتهم، والاستقامة في أفواههم، وتراهم ينشدون ما عند ربهم، ويرجون عفوّه ومغفرته.

﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ ۗ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَبَنَكُمُ

(١) الشعراء : ٣٨ - ٤٠

(٢) الأعراف : ١١٧ - ١٢٢

أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴿١﴾

أخي المسلم: هكذا ترى الفارق البعيد بين سلوك الإنسان وهو بعيد عن ساحة الإيمان، وسلوكه وهو يعتصم بصدق الإيمان. ترى الفارق بين قوله وعمله، ومعاملته لغيره، كما ترى الفارق بين النور والظلمات.

وتدبر ما قاله السحرة قبل إيمانهم، وما فعلوه بعد أن حَبَّبَ اللهُ إليهم الإيمان، وزَيَّنَهُ في قلوبهم. لقد أبصروا الحقائق، وأدركوا العواقب، وصدَّقوا فيما اختاروا لأنفسهم، وخافوا مقام ربهم، ولم يفلح تهديد فرعون في ردِّهم إلى الكفر بعد إيمانهم.

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٥٣﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ ﴿٢﴾

\* \* \*

فرعون يتوعد السحرة ويتهددهم:

في منهج الأنبياء اتساق فطري بين الدنيا والآخرة؛ فالإنسان في دُنْيَاهُ يعملُ لآخِرَتِهِ، وفي الآخرة يُجَازَى على عمل دُنْيَاهُ ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ ﴿٣﴾

(١) الشعراء: ٤٩ - ٥١.

(٢) طه: ٧٢، ٧٣.

(٣) الكهف: من الآية ٤٩.

وقد تشغلُّ النَّاسَ رغبةٌ عاجلةٌ عمَّا يكونُ في العاقبة، فيُشغَلونَ بالباطلِ عن الحقِّ، ويُحبونَ العاجلةَ، ويَذَرُونَ الآخرةَ، وقد يدفعهم ذلك إلى جُحودِ الحقِّ وتُكرانه، ويقودهم إلى الاستخفافِ بشأنه، والإساءة إلى أهله.

وكذلك فعل فرعونُ وقومه لما جاءهم موسى بالحق من ربِّهم ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

ولما رأوا بأعينهم أن الحقَّ يُبطلُ السحرَ بحُجَّتِهِ وسُلْطَانِهِ، اتجهوا إلى الدَّاعين إليه  
والمؤمنين به، يتوعدوهم بقتل أبنائهم، أو استحياء نسائهم، كما توعدَّ فرعونُ السحرةَ  
بقوله: ﴿ فَلَا قُطْعَ بَأَيْدِيكُمْ وَأُزْجَلُكُمْ مِنْ خَلْفِ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ  
النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

ولكنَّ السحرةَ - وقد عرفوا الحق، وآمنوا بربِّهم - لم يصرفهم وعيدُ فرعون عن  
الاستمساك بالحق الذي عرفوه وآمنوا به، وردُّوا عليه أبلغ ردِّ، بالكلمة الراشدة، والثبات  
على الحق: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ  
مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٧﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا  
خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>

لقد اهتدى السحرةُ بهدي الأنبياء، فاستقامت نفوسُهم، وآثرت ما يبقى على ما

(١) يونس : ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) طه : من الآية ٧٦ .

(٣) طه : ٧٢ - ٧٣ .

يفنى، فخافوا مقام ربهم، ولم يخافوا غيره، ودعوا الله أن يُفرغ عليهم صبراً، ويتوفاهم مسلمين:

﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِقَائِدِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَاءً رَبِّنَا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴿١٢٦﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

ومن هنا يُعرف أن الحق الذي جاء به الأنبياء نُعزُّ به النفوس، فلا تعبد إلا الله، ولا تستعين بأحدٍ سواه.

ومنهج الأنبياء في الدَّعوة إلى الله هو خيرٌ ما تصلح به النفوس، فتُحسن في دنيا الناس ولا تُسئ، وتُصلح في الأرض ولا تُفسد، وتقصد بما تعمل من الصالحات ابتغاءَ مرضات الله، فلا تُحبط ما عملت بشركٍ ظاهرٍ أو خفي، أو تُبطل ما صنعت بمنٍ أو أذى؛ لأنها تؤمن باليوم الآخر، وترجو الفوز فيه.

﴿ يَوْمَ تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٦﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

وإذا تعلقَت نفوسُ الناس بالدنيا كانت عندهم مرغوبةٌ مخطوبةٌ، فليعلموا أن الخير ليسَ في إثارها، ولن يكون السلام لمن يُريدها في ذاتها، وإنما الخير والبرُّ، والسلام والعدل في ابتغاء مرضات الله، والاستقامة على أمره، عندئذٍ يتحقَّقُ لِدُنْيَا الناس ما ترجوه من: سلام، وأمنٍ، وتعاونٍ، وبرٍّ.. ولن يكون ذلك إلاَّ ممن يجذُرُ الآخرة ويرجو رحمةَ ربِّه.

(١) الأعراف : ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) الحديد : ١٢ .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦١﴾  
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون :

إن الأنبياء وهم دُعاة إلى الله يُذكرون الناس بما هم صائرون إليه، ومُتهنون عنده.

يُذكروهم بما هو واقع في حياتهم، ومُتكرر أمام أنظارهم.

إن الله يستخلفُ الجيلَ بعدَ الجيلَ لينظرَ كيفَ يعملون، فلا يبقى منهم قادم، ولا يرجع ذاهبٌ.

وهذه الحقيقة قد يغفل عنها كثيرٌ من الناس فيقادون إلى أملٍ كذوبٍ وسرابٍ خادع. وتمضي فترةُ العمر بلا رجاء في استقامة أو عملٍ صالح. وعند مجيء الأجل يُطلبُ مَنْ فرطَ أن يعودَ ليعملَ صالحاً، فلا يُجابُ إلى ما طلب، ويرى عند الله ما كسبَ أو اكتسب.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٦١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا<sup>٦٢</sup> إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٦٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٣﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) المؤمنون : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) المؤمنون : ٩٩ - ١٠٣ .

من هنا نستطيع أن ندرك لماذا يقع الصراع في دُنيا الناس، ولماذا يتعدَّدُ الابتلاء والاختيار.. وعمل الإنسان هو الذي يُحدِّدُ مكاتته، وإجابته عملاً يُمتحن به هي التي تكون خيراً له أو شراً عليه. والصراعُ بين الحق والباطل هو الذي تميَّز به مواقفُ الناس، ويُعرَفُ الخبيثُ من الطيب.

ولنقرأ ما جاء في القرآن ونحن نتدبَّرُ منهجَ موسى عليه السلام في الدَّعوة إلى الله تعالى.

﴿ وَقَالَ آلُكَأَمِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنُ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرِكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ <sup>(١)</sup>

والمستخلفُ في الأرض مُمتحنٌ بما استخلفَ فيه ﴿ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ولكنَّ الناسَ يَنسَوْنَ أنهم مُستخلفون، وأهمُّ يَمُرُّون بالحياة ولا يُقيمون، وأن ما بأيديهم لم يصل إليهم إلا بموتِ مَنْ كان قبلهم، وستخرجُ منها بمثل ما جاء إليهم.. يَنسَوْنَ ذلك فيميلون ويُسيئون حيث يجب أن يستقيموا وأن يُحسنوا.

وكم كان حديث الأنبياء بليغاً وهم يُذكرون أقوامهم بهذه الحقيقة، ويُصرونهم بما يجبُ أن يكونوا عليه.

نسمع هوداً عليه السلام يقول لقومه ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ

(١) الأعراف : ١٢٧ - ١٢٩.

نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿١﴾

ذَكَرَهُمْ بِمَنْ سَبَقَهُمْ، وَفِي التَّذْكِيرِ عِبْرٌ وَعِظَاتٌ، وَذَكَرَهُمْ بِأَنْ اسْتَخْلَفَهُمْ مُحَدِّدٌ بِأَجَلٍ، إِذَا جَاءَ ذَهَبُوا، وَيَسْتَخْلِفُ اللَّهُ قَوْمًا غَيْرَهُمْ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِمَنْ إِلَيْكُمْ ﴾ وَاسْتَخْلَفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٦٧﴾ ﴿٢﴾

. وَنَسَمِعَ صَالِحًا الصلوات يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِي عَادٍ وَنُوحًا كُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٣﴾

وهؤلاء وأولئك قد استخلفهم الله لينظر كيف يعملون، فمن أحسن فجزاه الحسن، ومن أساء فجزاه سيئة بمثلها.

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴿٤﴾

والأنبياء وهم يُذَكِّرُونَ النَّاسَ بِسُنَنِ اللَّهِ، وَيُبَلِّغُونَهُمْ مَا أَرْسَلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ، يَهْدُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ، فَلَا تَصْرِفُهُمُ الرِّغَابُ عَنِ الْعَوَاقِبِ، وَلَا تُلْهِيُهُمْ أُمُورُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ عَنِ ذِكْرِ رَبِّهِمْ.

(١) الأعراف : من الآية ٦٦ .

(٢) هود : ٥٧ .

(٣) الأعراف : ٧٤ .

(٤) آل عمران : ١٣٧ ، ١٣٨ .

وها هو موسى عليه السلام يُحيبُ قومه، وقد قالوا له شاكين متوجعين: ﴿ قَالُوا  
أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ  
عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ليس استخلاقاً دائماً، ولن يكون، وإنما هو  
استخلافٌ في الأرض لينظر كيف تعملون، ثم يمضي من استخلفَ بعمله، ويأت الله  
بقومٍ آخرين.. وهكذا دواليك أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ  
الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وهذا القول من موسى عليه السلام لا يخصُّ قومه وحدهم، بل ينطبق عليهم وعلى  
غيرهم، فما من أحدٍ من الناس إلا وهو مستخلفٌ، يعيش عُمرًا محدودًا، يتلى فيه ثم  
يرحل، وما من أحدٍ يجاوز ما حُدِّدَ له من أجل، وكلٌّ يجازى بما عمل.

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>  
وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا  
يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿ إِن مَّا تُوْعَدُونَ لَأَتِي  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

ولا شك أن ورود هذه الكلمة على ألسنة الرُّسل ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ لها دلالتها في الدُّعْوَةِ إلى الله وإرشاد الناس

(١) الأعراف : ١٢٩.

(٢) مريم : ٤٠.

(٣) الأنعام : ١٣٢ - ١٣٤.

إلى ما يجب أن يكون؛ فإن استخلاف الأمم وبقائها خاضع لسُننٍ لا تبدل ولا تتحول، ومداولة الأيام بين الناس لا يجهلها من تفكر وأحسن التدبر.

والرسل - وهم يُبلغون الناس، ويرشدوهم إلى الحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه - يُذكِّروهم بما وقع في القرون الماضية؛ لتكون العبرة شاخصةً أمام أنظارهم ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

بلاغ للناس أي بلاغ وهم يرون حقيقتهم في أنفسهم وفي القرون.

﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَارْتَبَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٨﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>

آجال ينتهي الناس إليها، وزمن يستخلف الناس فيه ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا

(١) يونس : ١٣ ، ١٤ .

(٢) غافر : ٨٢ .

(٣) فاطر : من الآية ٤٤ ، والآية ٤٥ بتامها .

جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْرِضُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١﴾

وما جاعوا في دنياهم لكي يُقيموا فيها، وإنما جاعوا إليها لِيُمتحنوا بما أمروا، ويعتبروا بما أُعطوا ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ولا عُذْرَ لأحدٍ بعد بيان، ولا عَوْدَ بعد انقضاء أجل، ولا رجاءَ في تصحيح ما فات من عمل، وما أعطاهم الله من عُمر، وما استخلفهم بعد أقوام ذهبوا، إلا لينظر كيف يعملون ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣﴾

والأنبياء - وهم يُخاطبون الناس بذلك - يُقدِّمون لهم العلم والمعرفة. العلم بحقيقة أنفسهم وما هم صائرون إليه، والعلم بقُدرة خالقهم وهو يُذهبُ قوماً، ويستخلفُ من بعدهم آخرين. والعلم بسُنن الله في خَلْقِهِ، وما يقع في القرون من دمار وهلاك، وما يكون للعاملين من فوز ونجاة.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾

(١) يونس : من الآية ٤٩ .

(٢) الملك : ١ ، ٢ .

(٣) يونس : ١٤ .

(٤) محمد : ١٠ - ١٢ .

ذاك هو منهج الأنبياء في الدَّعْوَة إلى الله، دعوة إلى العمل، وبيان لنتائج الأعمال  
صالحها وسيئها؛ ليهلك مَنْ هلك عن بَيِّنَةٍ، ويحيى مَنْ حي عن بَيِّنَةٍ، ولا شيء يخفى  
على الله من عمل الناس ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا  
فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١)

فليس أمام الناس إلا أن يصدّقوا مع الله، وأن يُخلصوا الدين له؛ فلا ملجأ من  
الله إلا إليه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ (٢) يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ  
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ  
عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مَنِ خَافَ وَعَبَدَ ﴾ (٣)

أخي المسلم: رأيت أن الأنبياء دُعَاةُ حَقٍّ، وحكمةٍ، ورُشدٍ، وأنهم حين يُذكِّرون  
الناس بما هو صائرون إليه ومنتَهون عنده، إنما ينشدون لهم الخيرَ في دُنْيَاهُمْ وأخراهم.

إن سبيلهم هي السبيل، وإن صراطهم هو الصراط المستقيم، فمن اهتدى بهداهم  
فقد هُديَ إلى صراط مستقيم، ومن أَعْرَضَ ونأى بجانبه، ضلَّ وهلك مع الهالكين.

﴿ أَوْلَتْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا  
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

\*\*\*

(١) يونس : من الآية ٦١.

(٢) ق : ٤٣ - ٤٥.

(٣) الأنعام : ٩٠.

## موقف بني إسرائيل من نعم الله تعالى :

رأينا من قبل ما كان من أمر موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وما انتهى إليه السحرة من إيمان برب موسى وهارون، كما رأينا ما كان من قوم موسى وقد نالهم من كيد عدوهم ما نالهم، وقد قال لهم موسى ﴿ أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٧٨) قَالُوا أُودِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٧٩) <sup>(١)</sup>

وقد تحقق لهم ما رجاه موسى، فأهلك الله عدوهم، ونجاهم من آل فرعون، وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها.

فماذا عملوا وقد استخلفهم الله في الأرض ومكن لهم؟ هل اعتبروا بما جرى لعدوهم أمام أنظارهم، فشكروا نعمة ربهم وأخلصوا دينهم له؟  
فلتدبر حديث القرآن عما تم لهم، وما وقع منهم.

﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١٧٧) وَجَنَوزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٧٨) إِنَّ

(١) الأعراف : ١٢٨، ١٢٩.

هَتُولَاءِ مُتَبِّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَنَطِيلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ  
أَبْغِيكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضْلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ  
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ  
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴿١﴾

لقد أحير الله ﷻ أنه أورث القوم الذين كانوا يُسْتَضْعَفُونَ - وهم بنو إسرائيل -  
أورثهم مشارق الأرض ومغاربها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى  
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١٣٨﴾  
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا  
كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ ﴿١﴾

لقد أورث الله بني إسرائيل نِعْمًا كانت في أيدي غيرهم، بل كانت في حوزة  
عدوهم، وتمت كلمته على بني إسرائيل بما صبروا، وهي قوله: ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى  
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾  
لقد كان عجباً من القوم - وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا -  
أن يقولوا لنبيهم وقد أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿ أَجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا  
لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (٣) وقد نجّاهم الله من العذاب المهين، وأراهم هلاك عدوهم في موقف  
رهيب، قالوا فيه لموسى ﷺ وهم يرون البحر أمام أعينهم، وفرعون يتبعهم: ﴿ إِنَّا

(١) الأعراف : ١٣٧ - ١٤١ .

(٢) القصص : ٥ ، ٦ .

(٣) الأعراف : من الآية ١٣٨ .

لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ ﴿١﴾ إذ لا سبيل لخوض البحر أو ركوبه، ولا طاقة لهم في ردِّ عدوِّ باغٍ قد لحقَّ بهم يريدُ أن يستأصلهم ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٤﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٥﴾ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَأُجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٠﴾ ﴿٢﴾

أبعد ذلك يقول مَنْ قال من بني إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ

ءَالِهَةٌ﴾ ؟!

إن ذلك لعجيب من ناس جعل الله لهم طريقاً في البحر، بينما أغرق عدوهم وهم ينظرون ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأُجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٣﴾

أمن فعل هذا يُعبدُ غيره، أو يُقصدُ سواه؟ ولهذا ردَّ عليهم نبي الله موسى بقوله:

﴿أَعْتَبَ اللَّهُ تَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤﴾ وَإِذْ أُجَيْنَاكُمْ مِنْ ءَالَ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٥﴾

(١) الشعراء : من الآية ٦١ .

(٢) الشعراء : ٦٠ - ٦٨ .

(٣) البقرة : ٥٠ .

(٤) الأعراف : ١٤٠ ، ١٤١ .

ذاك هو منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.. تذكير بنعم الله، وتحذير من الكفران والجهود.

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٤﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ ۗ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٥﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴿١﴾

\* \* \*